المدارس في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين

م. كازين أنور صديق *

Kajeendoski٨٥@jmail.com

رقم تلفون: ٠٧٥٠٤٩٦٩٨٢١

أ.د. شوكت عارف محمد *

Shwkat arf mohammed

Shwkat.a.mohammed@uoz.edu.krd

رقم تلفون مشرف: ٠٧٥١٤٩٠٨٠٠٢

* تربية دهوك/ تخصص تاريخ اسلامي/ مكان العمل: مدرسة ملا شهيد أمين/دهوك.
* جامعة زاخو/ كلية العلوم الانسانية/ قسم التاريخ.

ملخص البحث

تُمثل المدارس أحد مكونات العمارة الإسلامية المهمة، وشّكل وجودها مرحلة مُتطورة في سلسلة التطورات التي مرّت بها حركة التعليم في المجتمع الإسلامي، ولم يكن ظهورها مُفاجئاً بل جاء تطوراً منطقياً لوظيفة المسجد، ولم يقتصر التدريس فيها على العلوم الدينية، بل تعداه لتدريس شتى العلوم، وكان بداية استحداثها في المشرق الاسلامي في نيسابور، وخراسان في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وحظيت بدعم القوى السنية الذين اكثروا من انشائها، والاهتمام بها لدورها الكبير في النهضة الفكرية، وانتشرت المدارس النظامية في الكثير من مدن المشرق الاسلامي، وفي العراق، وبلاد الشام، والجزيرة الفراتية.

وقد جاء الاهتمام بالمدارس كونها تمُثل إحدى الدعائم الأساسية للقوى السنية كالسلاجقة، والزنكيين، والأراتقة، والأيوبيين، حيث بنوا عليها جميعاً حكمهم على المستويين السياسي، والديني، كونها كانت تمُثل قلاعاً فكرية لنشر الفكر السني للوقوف بوجه بعض التيارات المتُطرفة المعادية، كما أنها كانت وسيلة لتخريج مُوظفين أكفاء، ومخلصين، وكان من نتائج ذلك أن انتشرت المدارس في العراق، وبلاد الشام، ومصر، كما انتشرت في مدن الجزيرة الفراتية ،وكان لها دور فاعل في تطور الحركة العلمية، وهذا ما سنحاول استعراضه بالحديث عن مدارس الجزيرة الفراتية آنذاك من حيث نشأتها، وتخطيطها، وتمويلها، ومناهجها، وأبرز شيوخها.

وقد ارتأينا تقسيم البحث الى مُقدمة، ومبحثين، وخاتمة، تناول **المبحث الأول: التعريف بالمدرسة لغة، واصطلاحاً**، ثم استعراض نشأتها، وتخطيطها، وكذلك ذكر لمدارس الجزيرة الفراتية، **والمبحث الثاني**، خصّص للحديث عن: طبيعة المناهج الدراسية، والتنظيمات الادارية، والمالية لمدارس الجزيرة الفراتية.

الكلمات المفتاحية: المدارس؛ الجزيرة الفراتية، المراكز العلمية، الحضارة الاسلامية.

Key words: Schools, Euphrates Island, Scientific centers, Islamic civilization .

المدارس في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين

م. كازين أنور صديق
أ.د. شوكت عارف محمد

The schools in the Euphrates Island region in the Sixth and seventh centuries AH.

*M. Kazhin Anwar Siddiq
Mr. Dr. Shawkat Arif Mohammed*
Department of History - Faculty of Humanities - University of Zakho
Shwkat.a.mohammed@uoz.edu.krd

Keywords: schools; Euphrates Island, scientific centers, Islamic civilization.

Abstract

Schools represent one of the important components of Islamic architecture, and their presence constituted an advanced stage in the series of developments that the education movement went through in Islamic society. Their appearance was not surprising, but rather came as a logical development for the function of the mosque. Teaching in them was not limited to religious sciences, but rather went beyond teaching various sciences. Its introduction in the Islamic East began in Nishapur and Khorasan in the forth century AH/tenth century AD. It received the support of the Sunni forces who expanded its establishment and paid attention to it due to its great role in the intellectual renaissance. Regular schools spread

in many cities of the Islamic East, Iraq, and the Levant and the Euphrates Island.

The interest in schools came because they represented one of the basic pillars of Sunni regimes such as the Seljuks, Zengis, Artaqs, and Ayyubids. All of whom built their rule on the political and religious levels, as they represented intellectual castles for spreading Sunni thought to stand against some hostile extremist movements, and they were a means of graduating civil servants, competent and loyal. One of the results of this was that schools spread in Iraq, the Levant, and Egypt, as well as in the cities of the Euphrates Island. They had an active role in the development of the scientific movement, and this is what we will try to review by talking about the schools of the Euphrates Island at that time in terms of their origins, its planning, financing, curricula, and its most prominent sheikhs.

We decided to divide the research into tow sections, and a conclusion. The first section reviewed: dealt with the emergence of Islamic schools and their spread in the Euphrates Island. The The second section was devoted to talking about: the nature of the curricula, and the administrative and financial organizations of the schools in the Euphrates Island.

تمهيد:

-موقع الجزيرة الفراتية :

يمكن القول بأن الجزيرة الفراتية هي البلاد الواقعة بين نهري دجلة، والفرات، ويهيمن نهر الفرات على الامتداد الطبيعي لمعظم أرضها، وتنتشر روافدهُ عليه[١]، ولعّل ذلك هو السبب في إطلاق اسم الجزيرة الفراتية عليها من قبل غالبية البلدانيين، والمؤرخين المسلمين[٢] ، ويكوّن نهر الفرات، الحد الغربي للجزيرة الفراتية، ونهر دجلة الحد الشرقي لها، لذلك فالحدود الشرقية والغربية، تسير مع نهري دجلة، والفرات اللذين يعدان حداً فاصلاً بين اقليم الشام غرباً، وإقليمي الجبال واذربيجان، وأرمينية شرقاً وشمالاً، وتُمّثل مدينة تكريت النهاية الجنوبية للجزيرة على دجلة شرقاً[٣] .

- سكانها:

لقد سكن الجزيرة الفراتية منذ القدم العديد من السكان، فبالاضافة الى سكانها من الكرد الذين كانوا يقطنون في القسم الأعلى من الجزيرة، في الجهات الشرقية، والشمالية الشرقية منها، كما كانوا يتركزون في نواحي الموصل في جبال الهكارية، وعقر الحميدية، إذ كان لهم أحياء فيها، كما استقرت في الجزيرة الفراتية الكثير من القبائل العربية في فترات سابقة للفتح الاسلامي، والذين انتشروا في مناطق الخابور، وأعالي نهري دجلة، والفرات، ونصيبين، وجنوب غربي ماردين، فضلاً عن سكانها من الأرمن الذين استقرت مجموعات منهم إلى الشمال من نهر دجلة الأعلى[٤] .

وقد قسّم البلدانيون المسلمون بلاد الجزيرة الفراتية الى ثلاث ديار، وذلك تبعاً للقبائل العربية التي استوطنتها، وهي ربيعة، ومضر، وبكر، ومن مدن ديار ربيعة: الموصل، بلد، أذرمة، نصيبين،

---

(١) أبو الفداء، تقويم البلدان، بغداد، د.ت، ٢٧٣؛ الحارثي، الاوضاع الحضارية، ص٢٣.

(٢) الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: م. ج. دي غويه، ليدن، ١٩٢٧، ص ٧١؛ ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت، ١٩٧٩، ص ١٨٩ ؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، بغداد، د.ت، ٢٧٣ .

(٣) ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٨٩؛ المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦، ص١٣٧، ١٣٨.

(٤) المقدسي،احسن التقاسيم، ص ١٣٧، ١٣٨؛ سوادي عبد محمد الرويشدي، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، بغداد، ١٩٨٩، ص ٨٨.

رأس العين، سنجار، وجزيرة ابن عمر[١] وديار مضر ومن مدنها: الرقة، حران، الرها، سروج. أما ديار بكر، فمن مدنها: آمد، ميافارقين، ماردين[٢].

- مناخها:

يسود اقليم الجزيرة الفراتية، المناخ الذي تتباين فيه الفصول، وتتفاوت درجات الحرارة فهو بارد وممطر شتاءاً، وحار جاف صيفاً[٣] ، وتتّميز الجزيرة الفراتية من الناحية الطبيعية، بتباين سطحها، وأراضيها المتموجة، وتقطعها تلال، ومرتفعات على شكل هضاب مرتفعة،أو جبال منفردة، ومن أشهرها جبل الجودي قرب نصيبين، وهو الجبل الذي ارتبط ذكره بالطوفان، وقصة نوح عليه السلام[٤] ، وجبل أمد، وجبل سنجار، وغيرها[٥] .

-الحياة الاقتصادية:

تُعد الجزيرة الفراتية من المناطق الغنية بمواردها المائية، ومصدرها دجلة، والفرات، اللذان يجريان في أراضيها وما يتفرع منهما من فروع وجداول تدخل ضمن نطاق حدودها، وكذلك العيون، والينابيع، والآبار، فضلاً عن الأمطار المتساقطة في فصلي الشتاء، والربيع. وتشّكل جبال طوروس شمال الجزيرة الفراتية خزاناً ضخماً للمياه، بسبب الثلوج التي تتراكم عليها شتاءاً، والتي تأخذ مياهها بالذوبان في أوائل الربيع، فتمد نهري دجلة، والفرات وروافدهما بمعين لا ينضب، وتزيد منسوبها طوال العام[٦]، كما وتمتّعت أرض الجزيرة بتربة خصبة مثل الموصل، وسنجار، والأنبار، وجزيرة ابن عمر، والرقة، وغيرها، وهذا مما ساعد على مُمارسة النشاط الزراعة، وكثرة المراعي، وتنوّع

---

(١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٣٧ – ١٣٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت،(د/ت)،٢/ ١٣٤؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٧٣ .

(٢) لمعرفة مواقع هذه المدن ينظر: الخارطة المُرفقة بالبحث، ص ٣٦ .

(٣) المقدسي،احسن التقاسيم، ص١٤٢؛محمد جاسم المشهداني،الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري، بغداد، ١٩٧٧،ص٥٤.

(٤) حادثة الطوفان، أو قصة نوح، أو الطوفان العظيم: تواتر ذكرها في المُعتقدات السماوية، وهي قصة تتحدث عن فيضان عظيم كعقاب الهي للبشر لفسادهم، وسفكهم للدماء، ويبدأ بعدها تاريخ جديد للبشرية، وجاء ذكرها في القرآن الكريم في سورة نوح. للمزيد ينظر: علي محمد الصلابي، نوح والطوفان العظيم، ميلاد الحضارة الانسانية الثانية، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٢٠.

(٥) ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، ليدن، ١٨٨٥، ص ١٣٢؛ أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٧٩.

(٦) المقدسي،احسن التقاسيم،ص ١٤٤– ١٤٥؛ ابن شداد، الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: تحقيق: يحيى عبارة، دمشق، ١٩٧٨،مقدمة المحقق، ج٣/ق١/ ٤٠.

المحاصيل التي كانت تنتجها هذه المدن، ووفرتها، وبالتالي تفيض عن حاجة السكان، فتصدّر الى البلدان المجاورة[١].

وكانت الزراعة تحتل المرتبة الاولى في النشاط الاقتصادي لبلاد الجزيرة، كما كان لموقع الجزيرة اكبر الأثر في ازدياد الحركة التجارية، فهي مُلتقى الطرق التي تصل البلدان، وقد بيّن ياقوت الحموي هذه الأهمية عند اشارته الى الموصل بقوله " فهي محط رحال الركبان ومنها يقصد إلى جميع البلدان"[٢].

وقد ساعد النشاط التجاري على نشوء عدد كبير من الخانات، والقيساريات، والأسواق التي كان يقصدها التجار من بلاد مُختلفة، وقد أشار ابن جبير إلى بعض هذه الأسواق عند زيارته للموصل سنة ٥٨٠ هـ/ ١١٨٤م مثل قيسارية مجاهد الدين قيماز[٣]، التي اعجب بها، وشبهها بالخان العظيم[٤]، كما تطرق ابن جبير إلى عدد من الخانات والفنادق التي شاهدها،ونزل بها أثناء زيارته لبلاد الجزيرة الفراتية، ومنها الخان الذي نزل به في خارج مدينة نصيبين، كما ذكر بعض الخانات التي كانت منُتشرة على الطرق والقرى المتصلة بمدينة دنيسر[٥]، ومن المنتجات التي كان يتم المتاجرة بها في بلاد الجزيرة الفراتية كالحنطة، والشعير، والتمور، والسمسم، والكروم، وغيرها، وكذلك المواشي والاغنام[٦].

---

(١) الحارثي، الأوضاع الحضارية ، ص ٢٤٦ وما بعدها.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥/ ٢٢٣.

(٣) **مجاهد الدين قايماز بن عبد الله الزيني**، أبو منصور الملقب مجاهد الدين، من المماليك، أصله من سجستان، اخذ منها صغير، واسترقّ، وأعتقه والد الملك المعظم صاحب إربل، وجعله " أتابك " أولاده وفوّض إليه أمور إربل سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م فأحسن السيرة، وبني مدرسة، وخانقاه، وانتقل إلى الموصل سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م. للمزيد ينظر: صادق احمد داود جودة، مجاهدين قايماز نائب اربل والموصل ٥٥٩-٥٩٥هـ/ ١١٦٤-١١٩٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

(٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، بيروت، ٢٠٠٣. ١٩٥٩، ص١٨٤.

(٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص ١٨٨.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، بيروت، ١٩٩٧، ١٢/٥٠؛ الرويشدي، الأحوال الاجتماعية، والاقتصادية، ص ٣٠٢ وما بعدها.

يُعد القرنين السادس، والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين من فترات التاريخ الإسلامي المهُمة، اذ شهد المشرق الإسلامي، ظهور العديد من القوى، والكيانات السياسية المتناقضة التي حكمته، وكثيراً ما كان الصراع، سمة ذلك التناقض من أجل السيطرة على البلاد، وتوزّعت على الخارطة السياسية للعالم الإسلامي عدة قوى تمثّلت بالخلافة العباسية المغلوبة على أمرها، ثمّ السلاجقة الذين تراجع قوتهم وتأثيرهم بسبب خلافاتهم الداخلية، واستقل عدد من كبار قادة السلاجقة، ممن اصطلح على تسميتهم الأتابكة[١] بولاياتهم، وكانت هذه الأتابكيات تُعد أحد نتائج الإقطاع العسكري الذي روجه السلاجقة، وخضعت بلاد الجزيرة الفراتية آنذاك لعدد من القوى السياسية، كالأتابكة(٥٢١-٦٣١هـ/ ١١٢٨- ١٢٣٣م)،والإمارات الارتقية(٤٩٥-٨١٢هـ/ ١١٠١-١٤٠٩م) [٢]، كما امتد اليها نفوذ، وسلطة الأيوبيين في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين [٣].

كما شهد ذلك العصر تهديدات خارجية خطيرة، فقد استغل الصليبيون انقسام المسلمين، وضعفهم الداخلي، فسعوا جاهدين الى توسيع نفوذهم في المنطقة، فبدءا بشن حملاتهم المتوالية من أجل احتلال بلاد الشام، والجزيرة الفراتية،كما شهد ذلك العصر الغزو المغولي الذي استنزف الكثير من موارد المسلمين وطاقاتهم.

---

(١) الأتابكة: مفردها أتابك، وهو لفظ تركي مركّب من مقطعين (أتا) ومعناها اب و(بك) وتعني أمير وتعني (الوالد الأمير)وهو الذي يربي اولاد السلاطين السلاجقة لحداثة سنهم: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، بيروت، ١٩٦٨، ٣٢٨/٢؛ رشيد الجميلي،دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ٥٤١-٦٣١، بيروت، ١٩٧٥، ص ٢٧.

(٢) الإمارات الارتقية: نسبة إلى الأرتقة وتحديداً الى أرتق بن اكسك، أحد مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه(٤٦٥- ٤٧٥هـ/١٠٧٢-١٠٨٢م) وقد اقطعه السلاجقة القدس ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وعند وفاته سنة ٤٨٣هـ/١٠٩٠م انتقلت إلى ولديه سقمان وايلغازي، فضلاً عن بعض القلاع الجزرية كالرها، وسروج، وغيرها من المناطق، واستمرت هذه العائلة تحكم المنطقة حتى مطلع القرن التاسع الهجري. للمزيد من التفاصيل ينظر: عماد الدين خليل، الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام ٤٦٥-٨١٢هـ/١٠٧٢-١٤٠٩م ، بيروت، ١٩٨٠.

(٣) ابن الأثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل، القاهرة، ١٩٦٣،ص ١٨٣؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٥٧.

المبحث الأول: نشأة المدارس، وانتشارها في الجزيرة الفراتية.

أولا- المدرسة لغةً، واصطلاحاً:

أ-المدرسة لغة:

حاول الكثير من الباحثين لنشأة المدارس في الإسلام بالبحث في الأصل اللغوي لكلمة مدرسة، ولم يكن أمامهم سوى رد الكلمة إلى أصلها الثلاثي "درس"، قال ابن منظور درس: دَرَس الشيء والرَّسمُ يَدرُس دُرُوسا. وَدَرس الأثر يَدرُسُ دُروساً وَدَرَسته الريحُ تَرُسُه دَرسا أَي محته؛ وَمِن ذَلِكَ دَرَستُ الثوبَ أَدرُسُه دَرسا، فَهُوَ مَدرُوس ودَرِيس. والمِدارسُ والمِدرَسُ:المَوضِعُ الَّذِي يُدرَسُ فِيهِ. والمِدرَسُ: الكتابُ. والمِدارسُ: البَيتُ الَّذِي يُدرَسُ فِيهِ القُرآنُ،[1] ، ويعتقد البعض أنّ لفظ المدرسة من الألفاظ المولدة عند العرب إذ أخذت من العبرانية أو الأرمينية مدراس، أو مدرس وجمعها مداريس، ثمّ خفّفت فأصبحت مدارسة، ولهذا فالمدرسة من مُنشآت الحضارة الإسلامية الجديدة. هذا من حيث المدلول اللغوي[2] .

ب-المدرسة اصطلاحاً:

والمدرسة اصطلاحاً هي تلك الدور المنظّمة التي يتوّجه إليها طلبة العلم، وتوّفر لهم كل المستلزمات، وما يحتاجونه لتحصيل العلم، هذا كما يتوّلى التدريس فيها نخبة من العلماء المتميّزين بالصلاح، ويكون اختيارهم حسب شروط الواقف ويجازون بما تعلمّوا من صنوف المعرفة، ويمكن القول أن المدرسة بنيان خيري تتّميز الدراسة فيها عن الكُتاب، والمساجد بالتعليم العالي، وتكون المدرسة مُخصّصة للتدريس والتعليم فقط. والمدرسة أسسّت لنشر نوع خاص من المعرفة تحت اشراف الدولة[3].

ثانياً-أسباب تأسيس المدارس.

كثيرة هي الأسباب التي دعت المسلمين الى انشاء المدارس، ويمكن القول أن بناءها جاء مُتمّماً لرسالة المسجد، اذ من المعلوم أنّ التعليم عند المسلمين كان يرتكز أساساً على العلوم الدينية

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ١٤١٤هـ.، ص٧٩-٨٠؛ مجدالدين محمد الفيروزآبادي، القاموس المحيط، القاهرة، د.ت، ٢/ ٣١٥.

(٢) عبدالقادر مصطفى المغربي، الاشتقاق والتعريب، القاهرة، ط٢، ١٣٦٦هـ، ص١٦-١٧.

(٣) محمد منير سعد الدين، المدارس الاسلامية في العصور الوسطى، بيروت ،١٩٩٥، ص١١-١٢.

التي كان تدريسها في البداية يتمّ في المساجد ثمّ ما لبث أن استجدت ظروف حتمت على المسلمين من انشاء المدارس لا سيما بعد توسع المسلمين بدراسة بعض العلوم العقلية كالفلسفة، والطب، والهندسة وغيرها من العلوم الدنيوية مما حتم عليهم دراستها في أماكن اخرى بعيدة عن المسجد الذي صُمم أساساً للعبادة، وتعليم الناس مبادئ الدين الاسلامي، ومن جملة الأسباب التي دعتهم الى إنشاء المدارس أيضاً هو الأجر والثواب من الله تعالى[١].

كما كان للظروف السياسية التي مّر بها العالم الاسلامي دور في انشاء المدارس، وكان بداية ظهورها في مدن المشرق الاسلامي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في مدن نيسابور، ومرو،وبلخ، ثمّ انتشرت المدارس في بقية الحواضر كبغداد، واربل، ومدن الشام، والجزيرة الفراتية، ومصر، وكان للقوى السنية كالسلاجقة، والزنكيين، والأتابكة، والأيوبيين دور كبير في انتشارها كونها تُمثل بالنسبة لهم قلاعاً فكرية يُمكن من خلالها نشر المذاهب السنية في مواجهة الخصوم، والتيارات الفكرية المعُادية، وفي مُقدمتها التشيع، والفكر الباطني، وكان قادة المسلمين لا سيما من الزنكيين، والأيوبيين مُدركين أنّ القوة، والعنف وحدها لا تجدي نفعاً، بل لابد من مواجه الفكرة بالفكرة، والحجة القوية، ولهذا حظيت المدارس من قبلهم بالكثير من الدعم والرعاية لكونها كانت تمُثل احدى دعائم حكمهم في مواجهة الخصوم لكونها وسيلة لتخريج جيل من العلماء والموظفين الأكفاء الموالين لها لإدارة مُؤسساتها وتوّلي المناصب المهمّة كالقضاء، والافتاء، والخطابة وغيرها من المناصب والمهام، فكان السلاطين يختارون موظفي حكومتهم من المتخّرجين من هذه المدارس من يكون مُلتزماً بالعقيدة السنية، وموالياً للدولة[٢] .

ثالثاً-نشأة المدارس، وانتشارها في الجزيرة الفراتية.

شكّل ظهور المدارس مرحلة مُتطورة في سلسلة التطورات التي مرّت بها حركة التعليم في المجتمع الإسلامي، ولم يكن ظهورها مفاجئاً بل جاء تطوراً منطقياً لوظيفة المسجد لذلك لم تختلف المدارس بالجملة عن هيئة المساجد إلا في فترة متأخرة، وكانت الكثير من المدارس لا تخلو من وجود بيت للصلاة، ومن وجود إمام، ومؤذن للقيام بالصلوات الخمسة، كما أقيمت في بعضها صلاة الجمعة[٣]، حيث كان كلاهما مكاناً للعبادة، والدراسة معاً، غير أن المدرسة تميّزت عن المسجد بخواص مُعينة أهمها: أن المدرّس بها معين من قبل الجهة المشرفة، على خلاف المدرّس بالمسجد الذي يجلس في أي مسجد يشاء، ويدرّس ما يشاء من الموضوعات إذ أنه غير مُعين من

---

(١) عبدالله بن علي بن سلمان القحطاني،الحياة العلمية في الرقة خلال العصر العباسي، اطروحة دكتوراه ،كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة ام القرى، ٢٠١٢، ص١٧٦.

(٢) سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، ١٩٥٩، ص١١٩.

(٣) المقريزي،الخطط المقريزية، بغداد ،د.ت،٣٧١/٢.

أية جهة، ويكون عدد الطلبة في المدرسة مُحدوداً، أما المسجد فليس كذلك، وما يُميّز المدرسة أيضاً وجود الإيوان "قاعة المحاضرات"، ومساكن المدرسين، والطلبة وما يتبعها من مرافق أخرى[١].

ويمكن القول إنّ الحركة التعليمية في المدارس كانت مُقيدة بالاتجاه الذي يرسمه مُنشؤها، وكان المنهاج الدراسي لغالبية المدارس آنذاك ينصب على دراسة العلوم الدينية حصراً كالفقه، والتفسير، والقراءات القرآنية، وعلوم الحديث، واللغة، ثمّ ما لبثت أن غدت مراكز لدراسة علوم، ومعارف اخرى كالعوم الرياضية، والطب، والفلك، والتاريخ، ولكن على نطاق ضيق أو ثانوي[٢] .

وكانت المدارس تُعد من أهم المؤسسات التعليمية حيث شغف طلابها بأخذ قسط وافر من العلم نظراً لأنها أكثر تنظيماً من المساجد في علومها، ومواعيدها لكن التعليم في المدارس لم يكن إلا امتداداً لحركة التعليم الإسلامي في المساجد، وظهرت فكرة بناء المدارس بعد أن ازدحم المسجد بالطلاب للدراسة، والقراءة، مما كان يُؤثر على شعائر الصلاة، حيث نشأت الحاجة الى فصل المدرسة عن المسجد، وأصبحت المدرسة مُؤسسة علمية مُستقلة عن المسجد، واتخذت لها مبانٍ خاصة بها في المدن الإسلامية[٣].

تتفق غالبية المصادر التاريخية أن بداية ظهور المدارس كان في المشرق الاسلامي في النصف الثاني من القرن القرن الرابع الهجري قبل ظهور المدارس النظامية في العصر السلجوقي، وقد أشار السبكي بهذا الخصوص حيث قال:".. كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يُولد نظام الملك، والمدرسة السعدية بنيسابور أَيضا بناها الأمير نصر بن سبكتكين(ت: ٤١٢هـ/١١٢٠م)- أخو السلطان محُمود الغزنوي- لما كان والياً بنيسابور، ومدرسة ثالِثة بنيسابور بناها أبو سعد إسماعيل بنَ علي الإستررابَاذي الَواعظ الصوِفي(ت:٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضاً [٤] ثمّ ما لبث أن انتشرت المدارس بعد ذلك في بقية أرجاء العالم الاسلامي بدعم من الحكام والقوى السنية كالسلاجقة الذين انتشرت في عهدهم المدارس النظامية نسبة الى الوزير السلجوقي

---

(١) عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، بيروت، ١٩٥٩، ص١٢١.

(٢) رشيد، ناظم رشيد، التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في بلاد الشام، مجلة آداب الرافدين، الموصل، ١٩٧٩، ع(١٠)، ص٢٧٥.

(٣) مصطفى شاكر: المدن في الإسلام ، الكويت ،١٩٨٨، ٧٠١/٢.

(٤) السبكي، طبقات الشافعية، ٣/ ١٣٧.

نظام الملك(ت: ٤٨٥هـ/١٠٩٢م)الذي" أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، وأجرى لها الجرايات العظيمة"[١] ، ولعّل من أشهرها المدرسة النظامية ببغداد[٢].

ويمكن القول أنّ المدارس التي انشئت في مستهل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كانت تابعة للدولة، ومتميّزة بنظمها وكوادرها العلمية كالمدرسة النظامية ببغداد التي كانت تُعد من المعاهد الأولى للدراسات العليا في العالم الإسلامي، وكان افتتاحها في يوم السبت ١٨ذي القعدة سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م، وأقيم حفل حضره كبار رجال الدولة، والعلماء والوجهاء وسكان المدينة حتى امتلئ فناء المدرسة، والمحلات المجاورة[٣].

وقد تطرق ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ/١٢٠٠م) للوقف في المدرسة النظامية، والفئات المستحقة له من المنتسبين إلى المدرسة بقوله: "... وأثره العجيب ببغداد هذه المدرسة وسقوفها الموقوف عليها، وفي كتاب شرطها انها وقف على اصحاب الشافعي اصلاً وفرعاً، وكذلك الاملاك الموقوفة عليها شرط فيها ان يكون على اصحاب الشافعي اصلا وفرعاً ، وكذلك شرط في المدرس الذي يكون بها والواعظ الذي يعظ بها ومتولي الكتب وشرط أن يكون فيها مقريء القران،ونحوي يدرس العربية، وفرض لكل قسطاً من الوقف،..." [٤]، ثمّ توالى انشاء المدارس النظامية، واقتدى الناس بها في المدن والحواضر الاسلامية الاخرى[٥].

مما سبق يمكن القول أنّ فكرة انشاء المدرسة انتقلت من خراسان، والعراق إلى بلاد الشام واقليم الجزيرة الفراتية، إذ أنشئت المدارس في سائر المدن الشامية، والجزيرة، وذكر المقريزي(ت:٨٤٥هـ/١٤٤٢م) أنّ الناس في الجزيرة الفراتية اقتدوا بنظام الملك في إنشاء المدارس[٦] المدارس[٦] ، ثمّ شاع انتشارها أكثر في عهد الزنكيين، والأيوبيين،حيث عُرف عن سلاطينهم حرصهم على الاكثار من انشاء المدارس في بلادالشام، والجزيرة الفراتية، ومصر[٧] ، والمُتمعن لجهود السلطان نورالدين محمود زنكي يُدرك حقيقة أن خطواته في إنشاء المدارس كان هدفها نشر العلم، ودحض البدع، وامتدحه أبو شامة المقدسي(ت:٦٦٥هـ/١٢٦٦م) قائلاً:"وأما زمانه فهو

---

(١) ابن الأثير،الكامل،٨/٤٨١.

(٢) المقريزي،الخطط المقريزية، ٢/ ٣٦٣.

(٣) ابن الأثير،الكامل،٨/٢١٢؛ ماجد عرسان الكيلاني،هكذا ظهر صلاح الدين وهكذا عادت القدس، دبي،٢٠٠٢، ص١٧٧.

(٤) ابن الجوزي،المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، بيروت:١٩٩٢م، ١٦/ ٣٠٤.

(٥) ابن الجوزي، المنتظم، ابن خلكان، وفيات الاعيان،١/ ٣٩٦.

(٦) المقريزي،الخطط، ٢/٣٦٣.

(٧) أبو شامة، الذيل على الروضتين ، بيروت، ١٩٧٤، ١/١٦؛ المقريزي،الخطط، ص٣٦٣.

مصروف إلى مصالح الناس، والنظر في أمور الرعية، والشفقة عليهم، وأما فكره ففي إظهار شعار الإسلام وتأسيس قاعدة الدين...من بناء الربط، والمدارس، والمساجد، حتى ان بلاد الشام كانت خالية من العلم، وأهله وفي زمانه صارت مقراً للعلماء..." [١] .

واقتدى به السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأبناؤه، وأمرائهم في بناء المدارس في بلاد الشام، والجزيرة[٢] فذكر ابن خلدون أنهم:" ...استكثروا من بناء المدارس، والزوايا، والربط..." [٣]، كما أسهمت النساء الأيوبيات، ولا سيما بنات الملوك والأمراء في بناء المدارس ووقف الأوقاف عليها، كما ذكر ابن جبير:" ... ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد او رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة وتعين لها من مالها الاوقاف... "[٤] على سبيل المثال قامت ست الشام أخت السلطان صلاح الدين الأيوبي(ت:٦١٦هـ/ ١٢١٩م) ببناء مدرستين بدمشق هما: المدرسة الشامية البرانية[٥] والمدرسة الشامية الجوانية[٦] وبنت الست عذراء بنت شاهنشاه بن ايوب بن شادي(ت:٥٩٣هـ/١١٩٦م)المدرسة العذراية بدمشق[٧] ، وبنت عصمة الدين خاتون زوجة نورالدين محمود زنكي بناء المدرسة الخاتونية الجوانية بدمشق سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م وجعلته وقفاً لفقهاء المذهب الحنفي [٨] وبنت زوجة السلطان الملك المعظم عيسى الأيوبي ابن الملك العادل(٥٧٦-٦٢٤هـ/١١٨٠-١٢٧٧م) (المدرسة الخاتونية الحنفية) في سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م[٩].

يتضح مما سبق إهتمام جميع الحكام الذين تولوا الحكم في إقليم الجزيرة الفراتية خلال فترة البحث بإنشاء المدارس التي كانت عاملاً في ازهار الحياة العلمية، وتخريج الكثير من العلماء، وبلغت بعض المدارس من الشهرة بحيث أخذ طلاب العلم يشدّون الرحال إليها، وكانت عاملاً في

---

(١) ابو شامة، الذيل على الروضتين،ص٦١-٦٢.

(٢) المقريزي، الخطط المقريزية، ٣٦٣/٢.

(٣) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بغداد ،د/ت، ص٤٣٤.

(٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٤٨.

(٥) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس ، ١/ ٢٧.

(٦) النعيمي الدارس في تاريخ المدارس ،٣٠١/١.

(٧) النعيمي، المصدر نفسه، ٣٧٣/١.

(٨) النعيمي، المصدر نفسه، ٥٠٧/١-٥٠٨.

(٩) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣/ق٥٤٤/٢.

توثيق الصلات العلمية بين أقطار العالم الاسلامي طيلة العهدين الزنكي(٤٨٩-٥٧٧هـ/١١٩٣-١١٨١م)، والأيوبي(٥٧٠-٦٤٧هـ /١١٧٤-١٢٥٠م).

رابعاً- تخطيطها:

كانت مُدن الجزيرة الفراتية في العهدين الزنكي، والأيوبي تزخر بعنصرين من عناصر العمارة هما: الأسوار والقلاع، والحصون، فضلاً عن عناصر العمارة المدنية، وفي مُقدمتها المدارس، التي تسابق السلاطين، والأمراء، وأهل اليسار على تشييدها، وكانت تعتمد أساساً على الوقف الذي مكّنها من الاستمرار في القيام بدورها في إثراء الحركة العلمية، واهتم المنشؤون باختيار المواقع المناسبة لمدارسهم فاختاروا الأماكن المشرفة على الأنهار، والمنتزهات، لأن مناظرها الجميلة تبعث في نفس الطالب الرغبة في الدراسة والبحث، مثال ذلك نظامية بغداد التي كانت تقع على شاطئ دجلة في وسط سوق الثلاثاء[١].

وعندما مرّ الرحالة ابن جبير سنة ٥٨٠هـ/١١٨٥م باحدى مدارس مدينة رأس العين-مدينة الحسكة اليوم - في الجزيرة الفراتية وصف موقعها بقوله:"...ما أرى أنه كان في موضوعات الدنيا مثل موضع هذه المدرسة، لأنها في جزيرة خضراء والنهر يستدير بها من ثلاثة جوانب، والمدخل إليها من جانب واحد، وأمامها ووراءها بستان، وبإزائها دولاب يلقى الماء إلى بساتين مرتفعة عند مصب النهر، وشأن هذا الموضع كله عجيب جداً، فغاية حسن القرى بشرقي الأندلس أن يكون لها مثل هذا الموضع جمالاً.." [٢] ومن الأمثلة الاخرى أن حاكم ماردين الارتقي قطب الدين ايلغازي بن بن البي(٥٨٠-٥٧٢هـ/١١٧٦-١١٨٤م) أنشأ مدرسته القطبية قبيل سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م خارج في موضع حسن، تحيط به البساتين، وعندما زار ابن جبير مدينة دنيسر شاهد تلك المدرسة التي أثارت اعجابه فقال عنها: "...وخارجها مدرسة جديدة، بقية البناء فيها، ويتصل بها حمام، والبساتين حولها، فهي مدرسة ومؤنسة وصاحب هذه البلدة قطب الدين..." [٣].

وبعد اختيار الموقع المناسب يجري التفنن في هندسة البناء وزخرفته، وتزويقه، بحيث تكون المدرسة تحفه معمارية، وتشتمل المدرسة في العادة على قاعات للتدريس تسُمى الواحدة منها إيواناً، وكان الطبيب أبا المجد محمد بن عبيد الله الباهلي(ت:٥٧٠هـ/١١٧٤م) يُلقي محاضراته في الطب على طلابه في الإيوان الكبير التابع للبيمارستان النوري[٤].

---

(١) ابن الاثير، الكامل، ٢١٢/٨؛ محمود شكري الالوسي، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، بغداد،١٤٤٦هـ.ص-١٠٣ .١٢٠

(٢) ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص٢١٨.

(٣) رحلته ،المصدر نفسه، ص ١٩٤.

(٤) النعيمي،الدارس في تاريخ المدارس، ١٣٨/٢.

وكان في كل مدرسة مسجد خاص بها يتناسب مع حجمها، ويظهر ذلك في المدرسة الشهيدية التي أمر ببنائها حاكم ماردين الملك المنصور أرتق أرسلان ناصرالدين بن قطب الدين إيلغازي(ت:٦٣٦هـ/ ١٢٣٨م)، ثمّ زاد ولده الملك السعيد نجم الدين إيلغازي(ت: ٦٥٩هـ/١٢٦١م) الذي ورثه في الملك في بناء بعض أقسامها، كما زودّها بمنبر، وأثاث فاخر، وأمر بإقامة صلوات الجمعة فيها بعدما ازدحم الناس في مملكته هرباً من الغزو المغولي، وكان التدريس فيها يقوم على المذهبين الحنفي، والشافعي[١].

وكانت بعض المدراس تبُنى في وسط المدن بجوار جامعها، مثل المدرسة السديدية التي أنشأها القاضي سديد الدين سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م في مدينة ماردين بجوار الجامع الكبير، وهي على المذهب الحنفي، وقصدها الطلبة من ماردين، وجوارها لشهرة شيوخها، وتنوع علومها[٢].

كما اشتملت مُعظم مدارس الجزيرة الفراتية على سكن للمدرسين، والطلبة، وتصرف عليهم جميع متطلباتهم ومستلزماتهم من مأكل، ومشرب، وملبس، وأدوات الكتابة والدرس، كما كان طلبة العلم يتقاضون مرتباً شهرياً تحدده شروط وقفية المدرسة لتغطية بعض نفقاته الدراسية، وقد أخذ السلاطين، والأمراء في بناء مدارسهم على نمط النظامية، ونظامها التعليمي والمعاشي، فأصبح للمدرسة بناء يحتوي على غرف للدراسة، ومكتبة، ومساكن للطلاب، ومطبخ، وحمام، وأوقاف توقف عليها، وفناء، وهذا يتضح في المدرسة الشهيدية التي سبق ذكرها، فقد كانت المدرسة تضم عدة غرف، إلى جانب الإيوان، والمسجد[٣] .

كذلك كان لكل مدرسة خزانة كتب أو مكتبة خاصة بها تتناسب مع حجمها، وسعة أوقافها، مثل مكتبة المدرسة البدرية في الموصل، وخزانة المدرسة النورية[٤] ومكتبة المدرسة الحسامية في ماردين الذي بناها حسام الدين تيمورتاش سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٣م والتي كانت تحوي كتباً قيمّة أشاد بها ابن

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء، بيروت، ١٩٨٢، ٢٠٥/١٤.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص١٩٩.

(٣) علاء قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية،عمان، ٢٠١٥،ص٥٨-٥٩.

(٤) برمة عبد الكريم نورين، الحياة العلمية في العهد الزنكي، بحث منشور جامعة الخرطوم، كلية الآداب ،د/ت،ص ٢١.

الازرق الفارقي أثناء زيارته لها سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م[١] وغيرها من المكتبات المدرسية التي ساهمت في إثراء التعليم، وازدهاره.

وكانت غالبية مدارس الجزيرة تحوي مدافن، أو التربة الخاصة التي يدفن بها واقف المدرسة ، وبانيها، وأحياناً يُدفن الى جانبه كبار شيوخها الذين خدموا بها، مثل مدرسة الأتابكية العتيقة المنسوبة الى سيف الدين غازي بن عماد الدين(٥٤٢-٥٤٤هـ/١١٤٦-١١٤٩م) [٢] والمدرسة النجمية في ماردين فقد كانت تضم تربة دفن بها مؤسس المدرسة نجم الدين[٣] والمدرسة العزية التي شيّدها عز الدين مسعود الأول بن قطب الدين مودود صاحب الموصل(٥٧٦-٥٨٩هـ / ١١٨٠-١١٩٣م)،وانشأ تربة فيها دفن فيها بعد وفاته[٤] وقد شاهد المؤرخ ابن خلكان(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م) هذه المدرسة فوصفها قائلاً: "... ورأيت هذه المدرسة، والتربة وهي من أحسن المدارس والترب..." [٥] .

ويمكن القول أن انتشار المدارس في مدن الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين يُعد بحد ذاته مظهراً قوياً لرقي الحياة العلمية آنذاك، كما أنه دليل على مدى دعم حكامها للعلم، والعلماء [٦] وقد برز في ذلك العصر عنصران من عناصر العمارة الإسلامية الأولى: المدارس، والثاني: بناء الأسوار والقلاع، فقد كانت حواضر الجزيرة الفراتية تزخر بعمارة المدارس التي أشرف على تشييدها السلاطين، والأمراء، وأهل اليسار، وكانت تعتمد أساساً على الوقف الذي مكّنها من الاستمرار في القيام بدورها في إثراء الحركة العلمية، وديمومتها، ويختار لها من العلماء، وطلبة العلم، المشهود لهم بالكفاءة، والتبحر في مُختلف العلوم.

خامساً- مدارس الجزيرة الفراتية في القرنين ٦و٧هـ/١٢و١٣م:

انتشرت في مدن الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين عدد كبير من المدارس التي اضطلعت بدور مُؤثر في الحركة العلمية آنذاك، وفيما يلي استعراض لأبرز تلك المدارس:

١-مدارس الموصل:

---

(١) الفارقي، تاريخ ميافارقين، القاهرة، ١٩٥٩، ص٣٧.

(٢) ابن الأثير، د.ت، ٩٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٦٥/٢.

(٤) ابن الأثير،الكامل، ٢٢٨/٩.

(٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٩٥/٢.

(٦) ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص١٩٣.

يُمكن القول إنّ مدينة الموصل قد شهدت منذ نهاية القرن٦هـ/١٢م في ظل حكم الأتابكة(٥٢١-٦٣١هـ/ ١١٢٨- ١٢٣٣م) ازدهاراً للحركة العلمية، وكان من مظاهر ذلك انشاء العديد من المدارس، وهذا ما لاحظه الرحالة الأندلسي ابن جبير عند زيارته للمدينة سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م واصفاً المدارس التي كانت موجودة في ذلك العهد بالقول:"... وفي المدينة مدارس للعلم نحو الست، أو أزيد على دجلة، فتلوح كأنها القصور المشرفة..." [١]، ومن الجدير بالذكر أن بعض تلك المدارس يعود انشائها الى فترة سابقة للأتابكة، ومن مدارس الموصل:

-**المدرسة النظامية**:وهي أقدم مدرسة أنشئت في الموصل في العصر السلجوقي، أسّسها الوزير السلجوقي نظام الملك(ت:٤٨٥هـ/ ١١٨٩م)، وكان مكانها بالقرب من الجامع النوري[٢].

-**المدرسة المهاجرية**: وكانت من المدارس المُخصّصة لتدريس المذهب الشافعي، يعود بناءها الى سنة٥٢٢هـ/ ١١٢٨م،وقد أنشأها علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر فوق دار الحديث المهاجرية التي بنيت عام ٥٢٢هـ/ ١١٥٧م، وكان انشاؤها بعدها بفترة[٣].

- **المدرسة الأتابكية العتيقة**: ومُؤسسها سيف الدين غازي بن عماد الدين(٥٤١-٥٤٤هـ/ ١١٤٦-١١٤٩م)، الذي دفن بها بعد وفاته، ووصفت بأنها من أحسن المدارس، وأوسعها، وكان قد جعلها وقفاً على الفقهاء من الشافعية، والحنفية، ودرّس بها خيرة العلماء، ووردها العديد من الفقهاء ليدرّسوا فيها[٤].

-**المدرسة الكمالية**: وكانت قبل انشائهاعبارة عن مسجد ثمّ قام صاحب اربل زين الدين علي كوجك بن بكتكين(ت: ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م) بتحويلها الى مدرسة، ومن أشهر مُدرّسيها أبو الفتح موسى بن محمد بن منعة، المُلقب كمال الدين،الذي درّس بها حتى وفاته سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١م[٥] وعُرفت هذه المدرسة بالكمالية لطول فترة تدريسه فيها[٦].

---

(١) ابن جبير ،رحلة ابن جبير، ص١٦٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص٤١٤.

(٣) ابن المستوفي، تاريخ اربل، بيروت ، ٢٠١١، ٢/ ٥٩٦؛الحارثي، الأوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة، ص٤٠٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ١٩٩/٩؛ أبو شامة،الذيل على الروضتين ،١/ ٢٢٨.

(٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥،١٩٦٨/٣١١-٣١٧.

(٦) ابن كثير، البداية والنهاية ،١٢/ ٢٦٩.

- **مدرسة الجامع النوري**:التي شيدّها نورالدين محمود زنكي بالجامع النوري المُعروف سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م[١] ورصد لها بعض قرى الموصل وقفاً لها، وللجامع[٢] وفوّض التدريس فيها الى الفقيه أبو بكر محمد بن إسماعيل الشافعي أحد تلاميذ الامام الغزالي(ت:٥٠٥هـ/ ١١١١م) [٣] .

-**المدرسة الكمالية القضوية**: التي شيدّها أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري(ت: ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م)، وكان من أشهر العلماء أيام الأتابكة، أمتهن القضاء، وأصبح قاضٍ على مدينة الموصل، وكان أديباً، وشاعراً معروفاً، له خبرة كبيرة في إدارة شؤون الدولة، جعل التدريس في هذه المدرسة على المذهب الشافعي، ثمّ إنتقل الى دمشق، فولّاه نورالدين محمود زنكي قضائها، وكان مسموع الكلمة عند الملوك، وأهل السلطة[٤]، وقد أعقبه في التدريس علماء أجلاء منهم: إبنه قاضي قاضي القضاة محمد بن كمال الدين الشهرزوري(ت: ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م).

-**المدرسة المجاهدية:** نسبةً الى مُؤسسها مجاهد الدين قايماز، انشأها سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م وعُرفت باسمه[٥] ، وجعلها وقفاً على الشافعية، وقد أورد ابن الأثير اسم هذه المدرسة في حوادث سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م عند حديثه عن سيرة مُجاهد الدين قايماز قائلاً: "...انه بنى الربط، والمدارس، والخانات في الطرق..." [٦]، وهذا ما أكده المؤرخ ابن الساعي(ت: ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م) بالقول:" ... وبنى جامعاً بظاهر الموصل، وبنى الى جنبه مدرسة للشافعية، ورباطاً للصوفية، ومارستاناً للمرضى الى غير ذلك..." [٧] .

- **المدرسة العزية:** وكان تشييدها على يد عزالدين مسعود الأول بن قطب الدين مودود صاحب الموصل(٥٧٦-٥٨٩هـ/ ١١٨٠-١١٩٣م)، وقد وصفها ابن الأثير في كتابه الباهر بقوله: "وهو الذي ابتنى المدرسة الغربية(العزية) بباب دار المملكة، وهي مدرسة حسنة، جعلها للفريقين الحنفية، والشافعية، وقرّر للفقهاء ما ليس بمدرسة أخرى من الفواكه، والحلوى، والدعوات في المواسم، والأعياد.. وقرر وقفها كل أسبوع وفي الأيام الشريفة، والليالي المباركة شيئاً كثيراً" [٨] وانشأ عزالدين

---

(١) ابن الأثير، الباهر،ص١٥٤.

(٢) ابو شامة،الذيل على الروضتين،ج١، ق٢/ ٤٨٠.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٦/٤٤٦.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات ، بيروت ، ٣،٢٠٠٠/٢٦٦.

(٥) الحارثي، الأوضاع الحضارية، ص٤٠٩.

(٦) ابن الاثير، الكامل، ٩/ ٢٤٨.

(٧) ابن الساعي، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، بغداد، ١٩٣٤،ص٩٥.

(٨) ابن الاثير، الباهر، ص١٨٩.

مسعود تربة فيها، ودفن فيها بعد وفاته[١] وقد شاهد المؤرخ ابن خلكان(ت: ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)هذه المدرسة فوصفها قائلاً:"..ورأيت هذه المدرسة، والتربة، وهي من أحسن المدارس، والترب..." [٢] ، وممن درّس فيها عماد الدين أبو حامد بن يونس بن منعة العقيلي الشافعي(ت: ٦٠٨هـ/ ١٢١١م[٣].

– **المدرسة النورية:** التي يعود بنائها الى الملك العادل، أبو حارث نورالدين أرسلان شاه بن عزالدين مسعود الأول(٥٨٩-٦٠٧هـ/ ١١٩٣-١٢١٠م)، وجعلها وقفاً للشافعية[٤] ووصفها البعض بأنها من أحسن مدارس الموصل[٥] .

– **المدرسة الزينية:**التي قام ببنائها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م،فُسميت باسمه، وفوّض التدريس بها الى عماد الدين بن يونس(٥٣٥-٦٠٨هـ/ ١١٤٠-١٢١١م) [٦] .

– **المدرسة القاهرية:** أقيمت هذه المدرسة في عهد الملك القاهر عزالدين مسعود بن أرسلان بن مسعود بن مودود بن زنكي بن أقسنقر صاحب الموصل (ت: ٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، أنشأها مقابل داره[٧] وكان العلامة الكبير كمال الدين بن يونس العقيلي(ت:٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م) أحد العلماء الذين درّسوا فيها [٨].

– **المدرسة البدرية:** وكان تأسيسها في عهد بدرالدين لؤلؤ بن عبد الله صاحب الموصل قبل سنة ٦١٥هـ/ ١٢١٨م، وكان بنائها على أنقاض مسجد بقلعة الموصل، وسميت هذه المدرسة على

---

(١) ابن الأثير، الكامل، ٩/ ٢٢٨.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان،٢/٩٥.

(٣) ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية . بيروت ، ١٩٨٦، ٢/٦٧.

(٤) ابن الأثير، الباهر، ص ٢٠١؛ الذهبي، العبر في خبر من غبر، بيروت، د.ت،٣/ ١٤٤.

(٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان،١/ ١٩٣.

(٦) ابن خلكان، المصدر نفسه، ٤/ ١١٤.

(٧) ابن الأثير،الكامل، ١٠/ ٢٨٠.

(٨) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت،د/ت، ص٤١٠.

إسمه[١] وكان موقعها على شاطئ دجلة، وتصدّر التدريس عدد من المشايخ منهم:محمد بن علوان بن مهاجر الموصلي(٥٤٢-٦١٥هـ/ ١١٤٧- ١٢١٨م) [٢] .

-**المدرسة اليوسفية:** ويُقال أن هذه المدرسة قد بنُيت من قبل أبو الفتح نصر الله بن علي بن نصر الله الموصلي الحنفي(ت: ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م) الذي تولّى التدريس فيها، وكانت تقع على نهر دجلة[٣] دجلة[٣]

٢- مدارس اربل:

-**مدرسة القلعة:** وكانت تُعد الأولى التي تمّ تأسيسها في مدينة اربل من قبل نائب صاحب اربل الأمير منصور سرفتكين الزيني سنة ٥٣٣هـ/١١٣٨م[٤] ، واختار الفقيه الشافعي أبو العباس الخضر بن نصر بن عقيل الإربلي(٥٦٧هـ/ ١١٧١م) ليُشرف التدريس بها[٥] وقد تخرّج على يده مجموعة من طلبة العلم، كان من بينهم ابن أخيه نصر بن عقيل(ت:٦١٩هـ/ ١٢٢٢م) [٦] .

- **المدرسة العقيلية:** التي أنشأها الفقيه الشيخ أبو العباس الخضر في سنة٥٦٧هـ/ ١١٧١م، وتولّى التدريس فيها ثمّ أعقبه إبن أخيه نصر بن عقيل[٧] وممن تولّى التدريس في هذه المدرسة أيضاً: علم الدين أبو البركات محمد بن عبد السلام بن الخطيب السنجاري(ت: ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م) [٨].
[٨].

-**المدرسة المجاهدية:** أسسها مجاهد الدين أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني في اربل سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م، وتولّى التدريس بها الفقيه الشافعي أبو حفص عمر بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الإربلي[٩] .

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٣/ ٨٢.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية،٨/ ٨١.

(٣) القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، ، د.ت، ١٩٩/٢؛ الحارثي، الأوضاع الحضارية، ص٤١٢.

(٤) سرفتكين بن عبد الله الزيني، كان مملوكاً أرمنياً لزين الدين علي صاحب إربل، وكان صالحاً فأعتقه وتقدم عنده، وأعتمد عليه واستنابه في المملكة، بنى مساجد كثيرة باربل، كما بنى مدرسة القلعة بإربل، توفى سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢٣٧/٢-٢٣٩.

(٥) ابن خلكان، المصدر نفسه،٢/ ٢٣٨.

(٦) ابن المستوفي، تاريخ اربل،ص١٤٥.

(٧) ابن المستوفي،المصدر نفسه، ص٣٣٧،١٤٥.

(٨) ابن المستوفي، المصدر نفسه،ص ١٧٥.

(٩) المستوفي،المصدر نفسه،ص ١٧٤، ٣٠٠.

-**المدرسة المظفرية:** أقامها الملك المعظم مظفرالدين كوكبري صاحب اربل قبل سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م، وكانت قد بُنيت لتدريس المذهبين الحنفي، والشافعي معاً، وكان كثير التردد لها، وممن تولّى التدريس بها: المحدّثة أم المؤيد زينب الشعرية(ت: ٦١٥هـ/ ١٢١٨م)، شيخة إبن خلكان صاحب وفيات الأعيان، وكان له إجازة بدراسته عندها سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م[١]، وكذلك درّس فيها فيها شرف الدين أبو الفضل أحمد بن كمال الدين موسى بن يونس بن منعة العقيلي(ت: ٦٣٩هـ/ ١٢٤٢م) [٢].

-**المدرسة الفقيرة، أو مدرسة الطين:** شّيدها أبو سعيد كوكبري صاحب إربل قبل سنة ٦١٨هـ/ ١٢٢١م، وجعلها وقفاً على فقهاء المذهب الشافعي، ودرّس بها القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي بكر المهاني الشافعي(ت:٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م)، وغيره من الشيوخ[٣].

٣-مدارس ماردين، ودنيسر.

تميّزت مدينة ماردين كونها كانت احدى مدن الجزيرة الفراتية التي شهدت نشاطاً علمياً لا سيما في عهد امرائها من الأراتقة الذين عُرف عنهم دعمهم للعلماء، وحبهم لنشر العلوم، والمعارف، وأسهموا في انشاء الكثير من المدارس، ولعّل من أشهرها:

-**المدرسة النظامية:** واقيمت في مدينة ماردين من قبل نظام الدين البقش(٥٨٠-٥٩٧هـ/١١٨٤م) الذي كان أحد مماليك قطب الدين ايلغازي الارتقي صاحب ماردين، تولّى تدبير الحكم لابنه حسام الدين الذي كان لا يزال طفلاً لم يتجاوز عشر سنوات عند وفاة والده[٤]، وجاء ذكرها في المصادر التاريخية باسم: مدرسة نظام الدين[٥].

-**المدرسة النجمية:** وُسمّيت نسبة الى مؤسسها الملك نجم الدين إيلغازي الأول بن أرتق ملك ماردين(٥٠٢- ٥١٦هـ/١١٠٨- ١١٢٢ م)، وهي على المذهب الحنفي، وكان نجم إيلغازي، وأخوه

---

(١) ابن المستوفى، المصدر نفسه،ص١٤٥؛ ابن خلكان،وفيات الاعيان،٢/ ٣٤٤.

(٢) ابن خلكان، المصدر نفسه، ٢/ ٣٤٤.

(٣) ابن المستوفى ، تاريخ اربل، ص١٤٥.

(٤) **نظام الدين البقش:** وهو نظام الدين البقش، الذي كان مملوكاً لصاحب ماردين أيلغازي بن ألبي بن تمرتاش بن أيلغازي بن أرتق، الملك قطب الدين، وأصبح مسؤولاً عن أولاده بعد وفاته لصغر سنهم. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢/ ٦٣٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات،١٠/ ١٨.

(٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/١٩٤؛ابن شداد،الأعلاق الخطيرة، ١/ ٥٤٣.

سقمان من أكابر أمراء السلطان تتش السلجوقي، كان نجم إيلغازي في بداية أمره في بغداد ثمّ انتقل إلى ماردين وأصبح حاكماً عليها[١] واهتم ببناء المؤسسات ذات الخدمة العامة، ومنها هذه المدرسة التي تمتّعت في عهده بشهرة واسعة حيث قصدها الطلبة من سائر ديار الجزيرة الفراتية،وقد ألحق نجم الدين بهذه المدرسة تربة،ودفن فيها عند وفاته سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م[٢].

-**والمدرسة السديدية:** وقدأنشأها القاضي سديد الدين قبل سنة ٥٣٨هـ /١١٤٣م، وموقعها بجوار الجامع الكبير في وسط ماردين، وهي على المذهب الحنفي[٣] .

- **المدرسة الحسامية**: بناها الملك حسام الدين تيمورتاش سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٣م، وهو ابن الملك نجم الدين إيلغازي الأول، وبنى بجوار هذه المدرسة مسجداً، وتربة، ورصد لها الكثير من الأوقاف، وزودها بالبسط، والستور، وما تحتاجه، وجمع فيها خزانة كتب عظيمة كانت لاتزال موجودة الى حين زيارة المؤرخ ابن الأرزق الفارقي لمدينة ماردين سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م الذي ذكر هذه المدرسة في تاريخه باسم مدرسة المشهد العظيم[٤] .

- **المدرسة الخاتونية أو ست رضية:** وشّيدتها الخاتون(رضية) أخت شاه أرمن بن أحمد بن سقمان الأرتقي، أقامتها للعلامة القاضي علم الدين عبدالرحمن بن جمال الدين أحمد التكريتي(ت: ٥٧٦هـ/ ١١٨٢م) ليدرّس فيها، فدرّس بها مدة ثمّ انقطع وارتحل الى تكريت، ولم تشر المصادر الى المذهب الذي كان يدرس فيها[٥].

- **المدرسةالخاتونية الحنفية:** أنشأتها إحدى خواتين آل أرتق من بنات الملوك وهي الخاتون عزيزة الدين أخشا خاتون، وقيل أحشورا خاتون، بنت الملك قطب الدين إيلغازي الثاني ملك ماردين(٥٥٤-٥٧٩هـ /١١٧٦-١١٨٤م)، وزوجة السلطان الملك المعظم عيسى الأيوبي ابن الملك العادل(٥٧٦-٦٢٤هـ/١١٨٠-١٢٢٧م) التي بنت المدرسة المذكورة سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م، ودرّس بها جلة من الفقهاء[٦] .

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٩/٤٣٥-٤٣٦؛ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د/ت، ٥/ ٢٢٣.

(٢) ابن خلكان،وفيات الأعيان، ٢/٢٦٥؛ قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية ، ص٥٤.

(٣) ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، ص١٩٩.

(٤) الفارقي، تاريخ ميافارقين، ص٣٧.

(٥) قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية ،ص٥٦.

(٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج٣،ق٢/ ٥٤٤؛عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، بيروت، د.ت، ٥/ ٣٢٩.

-**مدرسة أمين الدين:** وكان بناءها من قبل امين الدين أخو الملك نجم الدين إيلغازي، ثمّ أتمها الملك نفسه في عام ٦١٥هـ/١١٢٢م، وضمت المدرسة على عدة أقسام منها: المسجد، وقاعة الدروس، وحمام، وسبيل للماء، وكانت مبنية فوق أرض مُنحدرة، ولها صحن دار كبير[١] .

- **المدرسة الشهيدية:** وتمّ تأسيسها من قبل الملك المنصور أرتق، وأقام بها السعيد نجم الدين غازي المتوفي سنة ٦٥٩هـ/١٢٦١م منبراً ، ويدّرس فيه مذهبان، أمر ببنائها الملك المنصور أرتق أرسلان ناصر الدين ابن قطب الدين إيلغازي الثاني ملك ماردين، وقام ولده الملك السعيد نجم الدين إيلغازي الذي ورثه في الملك، أجرى عليها بعض الإصلاحات والتحسينات، وزاد فيها، كما زوّدها بمنبر، وأثاث فاخر، وأمر بإقامة صلوات الجمعة فيها لكثرة ما التجأ الى دياره ماردين من الناس هرباً من الغزو المغولي، ويفيد ابن شداد أن التدريس في هذه المدرسة كان يقوم على المذهبين الحنفي، والشافعي[٢] .

وفي مدينة دنيسر القريبة من ماردين كان بها أيضاً عدة مدارس مثل:

-**المدرسة الشهابية:**من أشهر مدارس دنيسر، ولا تُشير المصادر الى مؤسسها، وتاريخ انشائها، ويتضح من خلال ما ذكره ابن اللمش أثناءالحديث عن أحد شيوخها وهو الفقيه ابو العباس احمد بن مسعود المغربي القرطبي الشافعي(ت:٦٠١هـ/١٢٠٤م) أنه كان أول من درّس بالمدرسة الشهابية بدنيسر ،واستمر يُدرس في هذه المدرسة حتى وفاته[٣] .

- **المدرسة القطبية:** لم تُشر المصادر الى بانيها، وتاريخ انشاءها، الا أننا نرجح أن حاكم ماردين الارتقي قطب الدين ايلغازي بن الب(٥٧٢-٥٨٠هـ/ ١١٧٦-١١٨٤م) هو الذي أمر ببنائها ولهذا عُرفت بتلك التسمية، أما موقعها، وتاريخ انشائها فإنها كانت خارج المدينة، وأنها بُنيت قبيل سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م، وممّا يُؤكد ذلك الرحالة ابن جبير الذي زار دنيسر في نفس السنة، وشاهدها فقال:" وخارجها مدرسة جديدة، ويتصل بها حمام، والبساتين حولها، فهي مدرسة، ومؤنس وصاحب هذه البلدة قطب الدين"[٤] .

---

(١) قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية ،ص٥٥.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣،ق٢/ ٣٤٤؛ قدواي، الموصل والجزيرة الفراتية ،ص ٥٨.

(٣) ابن اللمش، تاريخ دنيسر، تحقيق:ابراهيم صالح، دمشق:١٩٩٢، ص ١١٤-١١٦.

(٤) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ١٩٤.

-**مدرسة حرزم:** نسبة الى بلدة صغيرة تابعة لدنيسر يقال لها حرزم، وكانت قد بنيت للحافظ والفقيه ابو محمد عبدالخالق النشتبري(ت:٦٤٩هـ/١٢٥٣م) الذي كان أول شيوخها[١] ومؤسسها هو حاكم ماردين الارتقي الملك المنصور ناصرالدين ارتق الذي حكم ما بين(٦٣٧ ٥٩٧-هـ/-١٢٣٩ ١٢٠٠م)، الذي اشتهر كونه كان: " كان عالماً فاضلاً تقياً، يبّجل العلم وأهله،... وله خيرات وافرة ...،بنى بحرزم مدرسة عظيمة، ورّتب لها من الأوقاف، والوظائف الى غير ذلك من الخيرات الحسان"[٢] .

٤-مدارس مدينة سنجار:

وكان فيها عدد من المدارس التي بقيت قائمة آنذاك رغم تعرض المدينة للكثير من الأحداث، والحروب، ومنها هجمات المغول سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م، فقد ذكر ابن شداد الذي كان معاصراً للأحداث أنّ المغول لم يتعرضوا لسنجار عند احتلالها سوى أنهم خربّوا سورها، وقلعتها فقط، ويعني ذلك أنّ باقي مباني المدينة بقيت محافظة على نفسها[٣] ، وقد ذكر ابن شداد أسماء ستة مدارس كانت الدراسة قائمة فيها خلال هذه الفترة، وتقع اثنان منها داخل أسوارها وهي: المدرسة التي أنشأها نورالدين محمود بن عماد الدين زنكي، وجعلها وقفاً للمذهب الحنفي، ومدرسة أخرى أنشأها صدر الدين المعروف بابن الشيخ[٤] ، وكانت وقفاً لفقهاء المذهب الشافعي، كما كان فيها أربع مدارس اخرى تقع خارج أسوار المدينة وهي: المدرسة التي أنشأها الأمير مجاهد الدين قايماز المتوفي سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م، وكانت وقفاً لأصحاب المذهب الحنفي، ومدرسة أنشأها شمس الدين المعروف بابن الكافي، وكانت وقفاً لأصحاب المذهبين الشافعي، والحنفي، ومدرسة أخرى أنشأتها أم قطب الدين محمد بن عماد الدين زنكي، ودفن فيها الملك الفائز ابراهيم بن الملك العادل[٥] .

- **المدرسة العمادية:** وأنشأها عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي صاحب سنجار المتوفي سنة ٥٩٤هـ / ١١٩٧م[٦] وقد عُرف عن عماد الدين زنكي، صاحب سنجار دعمه للعلماء لا سيما من المذهب الحنفي، حتى قيل عنه: " ... إنه كان مُتعصباً جداً للمذهب الحنفي، فأنشأ مدرسة خاصة

---

(١) ابن اللمش، تاريخ دنيسر ،ص٨٩.

(٢) المارديني، تاريخ ماردين من كتاب(أم العبر)، دهوك٢٠٠٢،ص٦٠.

(٣) ابن شداد،الاعلاق الخطيرة، ج٣،ق١/ ١٥٥، ٢١٢.

(٤) لم نعثر له على ترجمة أو وفاة.

(٥) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣،ق١/ ١٥٠-١٥٧.

(٦) ابن شداد، المصدر نفسه،ج٣، ق١/ ١٥٧؛ القرشي، الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، كراتشي، د.ت، ص٢٦١.

لهم، وشرط أن يكون النظر للحنفية من دون الشافعية، وشرط أن يكون البواب، والفراش على مذهب أبي حنيفة، وشرط للفقهاء طبيخاً طبخ لهم كل يوم..." [١].

٥-مدارس مدينة نصيبين:

- **مدرسة نصيبين الأولى:** شّيدها أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري، ورصد لها موارد للإنفاق عليها، وعلى شيوخها، وطلاب العلم الموجودين فيها، والتي كانت موجودة قبل سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م[٢] .

-**مدرسة نصيبين الثانية:** وهي مدرسة شُيدّت قبل سنة ٧٥٧هـ/ ١٣٥٦م، ولا يُعرف من أنشأها[٣] .

٦-مدارس حصن كيفا:

كانت مدينة حصن كيفا من المدن الصغيرة مُقارنة مع غيرها من مدن اقليم الجزيرة مثل آمد، وماردين، وميافارقين، إلا أن وجود ثلاث مدارس فيها إنما يدل على مدى اهتمام سكانها بتلقي العلم، وأصول المعرفة[٤] ،غير أنه لم يرد معلومات عن وصف هذه المدارس، وما زالت أطلال مدرسة قديمة بالقرب من السور الشرقي لمدينة حصن كيفا شاهداً حياً على اهتماماتهم بالجانب العلمي،والثقافي[٥] ولم يقتصر الاهتمام العلمي على العامة من الناس فحسب، بل قد أولى حكام وأمراء حصن كيفا من الأراتقة، والأيوبيين اهتماماً خاصاً بإنشاء المدارس محبة للعلم، والعلماء، ومن هذه المدارس:

-**المدرسة العادلية:** وهي من إنشاء الملك العادل محمد بن أيوب بن شادي (٥٤٠-٦١٥هـ/ ١١٤٥-١٢١٨م) أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، إذ أنشأها في حصن كيفا عندما تولّى زمام الأمور ببلاد الجزيرة من قبل أخيه الملك السلطان صلاح الدين[٦] .

ويتضح مما سبق اهتمام جميع الحكام الذين تولوا الحكم في إقليم الجزيرة الفراتية خلال فترة الدراسة بالحركة العمرانية، وقاموا ببناء المدارس أو تجديد ما موجود منها في السابق، وخاصة

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ،١٠/ ١٥١.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،١٨/ ٢٣٣.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، بيروت:١٩٦٤،ص٢٣٦- ٢٣٧.

(٤) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج٣، ق٢/ ٥٣١.

(٥) سترك: مادة حصن كيفا، دائرة المعارف الإسلاميه،القاهرة:١٩٦٩،جـ٧/٤٥٥.

(٦) ابن الحنبلي، درر الحبب في تاريخ أعيان حلب، دمشق: ١٩٧٢، ج١، ق١/ ٢٠٢.

المدارس التي يُدرّس فيها المذهب الشافعي، والحنفي، وبعض المدارس التي يُدّرس فيها المذهب الحنبلي، ومن المُلاحظ على هذه المؤسسات التعليمية أنها قد سميت باسم مُؤسسيها لتخليد أسمائهم في التاريخ.

٧-مدارس جزيرة ابن عمر:

-**مدرسة ابن البزري** وهي من المدارس التي كانت موجودة في مدينة جزيرة ابن عمر، وقد نُسبت هذه المدرسة الى مؤسسها الشيخ أبي القاسم عمر بن محمد بن عكرمة بن البزري الجزري الفقيه الشافعي(ت: ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) [١] ، وكان يُلقب بزين الدين جمال الإسلام، وقد وصفه الذهبي بالامام عالم أهل الجزيرة[٢] تفّقه أولاً بالجزيرة على الشيخ أبي الغنائم محمد بن الفرج بن منصور السلمي الفارقي نزيل جزيرة ابن عمر، ثمّ رحل الى بغداد، وتلّقى العلم على الفقيه الشافعي أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، والمعروف بالكيا الهراسي من أهل طبرستان، كان قد رحل الى بغداد، وتوّلى التدريس في المدرسة النظامية ببغداد مدة[٣] وحجة الإسلام أبي حامد الغزالي الفقيه الشافعي(ت: ٥٠٥هـ/ ١١١١م)، وقد قام ابن البزري بنفسه بالتدريس في مدرسته، ودرّس فيها، وأفتى إلى أن مات بها في سنة ٥٧٧هـ/ ١١٧٩م،وتخرّج من هذه المدرسة طائفة من العلماء منهم أبو طاهر إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الفقيه الجزري الشافعي، وأبي طاهر إبراهيم الفقيه عيسى بن محمد الهكاري الُملقب بضياء الدين(ت: ٥٨٥هـ/ ١٠٥٦م) [٤] الذي قام بالتدريس في في مدارس الشام، وأصبح فيما بعد من المُقربين الى السلطان صلاح الدين الأيوبي، ومن مشاهير أمراء الدولة الأيوبية[٥] .

-**مدرسة ظهيرالدين قايماز الأتابكي**(ت:٥٩٥هـ/١١٩٨م) [٦] ، ومدرسة القاضي جمال الدين عبد الرحيم(ت:٥٩٦هـ/ ١١٩٩م) [٧].

---

(١) ياقوت الحموي،معجم البلدان،٢/ ٥٧.

(٢) الذهبي،سير اعلام النبلاء، ٢/ ٣٩٨.

(٣) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٢/ ١٣٦.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان،٢/ ٥٧.

(٥) ابن خلكان،وفيات الاعيان،٢/ ٢٣٦.

(٦) طغتكين الأمير أبو منصور، المعروف بأتابك، كان شهماً، مُهيباً شديداً على الفرنج، والمفسدين، لقب بظهيرالدين، وكان عاقلاً خبيراً، عادلاً، حسن السيرة، مديراً للممالك، أقام حكماً على الشام خمساً وثلاثين سنة، توفى سنة ٥٢٢هـ/ ١١٢٨م.الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١١/ ٣٧٨.

(٧) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ص ١٤٨.

ومدرسة الأمير أبوالفضل شمس الدين باتكين بن عبد الله(ت: ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) [١] وكانت هذه المدارس الأربعة مخصّصة لتدريس المذهب الشافعي[٢] .

٩-مدارس مدينة آمد:

-**المدرسة التاجية:** نسبة الى مُؤسسها تاج الدين[٣] ، وتقع شرقي جامع أمد[٤].

-**مدرسة آمد:** إحدى مدارس إقليم الجزيرة، وقد أنشاها الوزير أحمد بن أبي قاسم بن أحمد السلامي المعروف بضياءالدين ابن شيخ السلامية(ت: ٦٢١هـ/١٢٢٤م) وزير الأمير الأرتقي قطب الدين سليمان بن قرة أرسلان، نشأ ضياء الدين ابن شيخ السلامية بالموصل، وتفّقه فيها، وحفظ القرآن، بنى بأمد مدرسة لأصحاب المذهب الشافعي، ووقف عليها أملاكه[٥] وأشار ابن شداد الى هذه المدرسة دون ذكر تفاصيلها[٦].

١٠- مدارس حران:

خلال زيارة ابن جبير لمدينةّ حران لم يذكر سوى مدرسة واحدة في ذلك الوقت بقوله:" ولهذه البلدة مدرسة"[٧] دون أن يذكر أي تفاصيل عنها، ومما لاشك فيه أن هذه المدرسة عائدة الى نورالدين محمود بن زنكي بن آق سنقر، وقدُ سميت بالمدرسة (النورية) نسبة إليه[٨].

وهناك مدرسة أخرى قام بإنشائها قاضيّ حران شمس الدين شقير عبد لله ابن عبد الأحد بن سلامة التنوخي الحراني ولد في شعبان سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٣م،وكان من أكابر بيوت حران، سمع عيسى بن سلامة بحران، وابن خليل بحلب وسمع(الأربعين)من أبي الفتح البكري، ومن داود بن ملاعب وغيرهم،وكان أديباً فاضلاً كريماً، مُتجملاً، عمّر مدرسة في مدينةّ حران، ومسجداً توفي سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م، أما ابن شداد فقد ذكر أن في مدينةّ حران مدرسة قامت بإنشائها الشيخة الفاضلة

---

(١) إبن المستوفي، تاريخ اربل، ٢/ ٦٤٣؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٥٠٤.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص١٤٨.

(٣) لم نعثر له على ترجمة.

(٤) ابن شداد، المصدر نفسه، ج٣،ق١/ ٢٥٨.

(٥) السبكي، طبقات الشافعية،٤/ ٣١٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤/ ٥٧.

(٦) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ٢٥٨/١.

(٧) ابن جبير، رحلة ابن جبير،ص٢٢١.

(٨) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة،ج٣،ق١/ ٤١.

نسيبة بنت عبد الرحمن بن علي بن عبدوس الحرانية، وقد اشتهرت باسم(ست النعم)، وهي سيدة جليلة عُرفت بالأعمال الصالحة، والحرص على نشر العلم، توفيت سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م[١].

١١-مدارس ميافارقين.

كما اهتم الملوك والأمراء الأيوبيون في ميافارقين بالمدارس اهتماماً كبيراً لما لها من أثر في تنشيط الحركة الفكرية، ومن بين هؤلاء الملوك الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل، وأخوه الملك المظفر شهاب الدين غازي الذي أنشأ المدرسة الحنفية في ميافارقين، ولم يكن الاهتمام بالحركة الفكرية في ميافارقين مُقتصراً على الملوك الأيوبيين وحدهم، إنما شاركهم أخرون في ذلك، فقد أنشأ فخرالدين عثمان المعروف بابن الفقاعي مدرسة الشافعي، وتوّلى التدريس فيها، ومدرسة أخرى أسسها الملك المظفر شهاب الدين بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شادي، صاحب ميافارقين، وخلاط(ت: ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)،وجعلها وقفاً لتدريس المذهب الحنفي، كما كانت بميافارقين مدرسة ثالثة لتدريس المذهب الحنبلي، وتقع أمام جامع المدينة[٢].

١٢-مدارس الرقة:

وكان بها مدرستان بناها نورالدين محمود زنكي، إحداهما تدُرس المذهب الحنفي، والثانية تدرس المذهب الشافعي[٣].

المبحث الثاني: طبيعة الدراسة، والتنظيمات الادارية لمدارس الجزيرة الفراتية.

أولاً- طبيعة الدراسة، ومراحلها.

كانت غالبية مدارس الجزيرة الفراتية كغيرها من المدارس التي ظهرت في بلاد الشام، ومصر آنذاك احادية المذهب، فقد كان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة: الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي مدارسه الخاصة التي كانت تدّرس فيها إلى جانب المواد الدراسية الاخرى لا سيما علوم الحديث، واللغة، والأدب، والنحو، والمنطق، والتفسير، وأصول الدين، ويستدل على ذلك مما ذكره ابن جماعة(ت: ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) أن على المدرس أن يبدأ بالتفسير، ثمّ الحديث عن أصول الدين، ثمّ أصول الفقه، ثمّ المذهب، ثمّ الخلاف والنحو أو المنطق، ويختتم الدوام بدرس في الزهد والرقائق[٤] ودرّست بعض المدارس إلى جانب علوم اللغة، والشريعة، والطب والهندسة، والفلك

---

(١) محمود عبيد جميل الدليمي، الحياة العلمية والفكرية في مدينة حران خلال العصر العباسي، عمان، ٢٠١٧م، ص١٠٥.

(٢) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٣،ق١/ ٢٧٦.

(٣) ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ص١٢٤.

(٤) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في القرآن الكريم أدب العالم والمتعلم، بيروت،د/ت،ص٣٥-٣٦.

والجغرافية، وغيرها من العلوم[١] وربّما تخصّصت بعض المدارس في تدريس بعض العلوم الدنيوية بعينها كالمدرسة الدنيسرية التي كانت مُتخصّصة في تدريس الطب[٢] .

وكان هناك مراحل للتعليم، فقد كانت الدراسة تبدأ في كتاتيب الأطفال، وغالباً ما كانت تبنى إلى جوار المساجد التي تقام فيها حلقات العلم[٣] وكانت الكتاتيب تستقبل الأطفال منذ سن الخامسة حتى التاسعة من العمر، أما طرق التعليم فقد وصف لنا الرحالة ابن جبير في أثناء زيارته سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٣م فقال:"... وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين، ويعلّمون الخط في الأشعار، وغيرها تنزيهاً لكتاب الله عّز وجّل عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو..." [٤] .

ويبدو أنّ التعليم في الكتاتيب كان يُشرف عليه اكثر من معلم، فهناك الملقن الذي كان يعُلّم الأطفال قراءة القرآن الكريم وحفظه، وبعد فراغه منهم ينتقل الأطفال إلى حجرة أخرى يعلم فيها الكتابة والخط[٥] ولم يكن جميع الأطفال يذهبون إلى الكتاتيب بل كان بعضهم يتّلقى علومه على أهله، أو على أحد الشيوخ اختاره الأهل واتفقوا معه على المواضيع التعليمية التي يرغبون تعليمها لولدهم لقاء أجر يتفق عليه أيضاً[٦] وهذا النوع الأخير من التعليم شبيه بالمدارس الابتدائية الخاصة في أيامنا.

ومما سبق يتبين أنه كان يُشرف على الكتاتيب معلمون مقرئون، حافظون لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا من مهنة التعليم وسيلة لكسب العيش. وبعد اجتياز الطالب المرحلة الأولى بنجاح، كان يلتحق بإحدى الحلقات في المساجد أو إحدى المدارس الصغيرة مما تعادل المرحلتين المتوسطة والثانوية في عصرنا الحالي، وتتوقف أهمية ما كان يتلقاه الطالب من علوم ومعارف على شهرة شيوخه الذين أخذ عنهم.

---

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، ص٤١٠؛ النعيمي،الدارس في تاريخ المدارس، ١٧٣/١.

(٢) النعيمي، المصدر نفسه، ١٣٣/٢.

(٣) أبو شامة،الذيل على الروضتين،ص٦٥و١٧١؛الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٦١/٥.

(٤) ابن جبير ،رحلة ابن جبير ،ص٢٦١.

(٥) ابن جبير ،المصدر نفسه،ص٢٦١.

(٦) أبو شامة، الذيل على الروضتين،ص٣٧-١٧٢-١٧٦؛الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٥٥٤/٢-٥٥٥.

وقد اهتم حكام الجزيرة من الزنكيين، والأيوبيين، والاراتقة بالمدارس لما لها من أثر في تنشيط الحركة العلمية، ومن بين هؤلاء الملوك الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل، وأخوه الملك المظفر شهاب الدين غازي الذي أنشأ المدرسة الحنفية في ميافارقين، ولم يكن الاهتمام بالحركة العلمية مُقتصراً على الحكام وحدهم إنما شاركهم الوزراء، وبعض العلماء ، فقد أنشأ فخر الدين عثمان المعروف بابن الفقاعي مدرسة الشافعي وتوّلى التدريس فيها، ومدرسة أخرى أسسّها شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين(٦٤٦هـ /١٢٤٨م) [١] وكانت مخصّصة لتدريس المذهب الحنفي، فضلاً عن ذلك فإن هناك مدرسة ثالثة أنشأت في ميافارقين خاصة بالمذهب الحنبلي، وتقع بالقرب من جامع المدينة [٢] وبذلك تعددت انتماءات المدارس وفقاً للمذاهب المختلفة.

ثانياً- طرق التدريس، والشهادات(الاجازة):

أما طريقة التدريس التي كانت متبعة آنذاك ، فقد جرت العادة أن يجلس الشيخ، أو المدرس على كرسي في غرفة الدرس على مكان مرتفع ويجلس الطلاب حوله على شكل حلقة، فُيلقي المدرس الدرس عليهم من كتاب بين يديه، ثمّ يتم فتح باب المناقشة في موضوع الدرس، أو قد يعرض مسألة من مسائل الفقه، أو الحديث، أو اللغة، أو الأدب أو غيرها من العلوم فيقوم بشرحها وتقديم شواهد عليها[٣] .

وكان يجب على من يتصّدر التدريس فيها أن يكون مُتمكناً بالعلوم التي يدرّسها، وفي طريقة الالقاء، وقد قدّم السبكي(ت:٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) في كتابه معيد النعم، ومبيد النقم جملة نصائح للشيوخ الذين يتولون التدريس[٤] ، وابتدأ حديثه لهم بالقول:" أن على المدرس أن يُحسن القاء الدرس، الدرس، وتفهيمه للحاضرين، ثمّ أن كانوا من مبتدئين فلا يلُقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات، بل يدّربهم ويأخذ بالأهون فالأهون الى أن ينتهوا الى درجة التحقيق..ومن اقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب ويجلس يلقيها ثمّ ينهض، فهذا ان كان لا يقدر الا على هذا القدر فهو لا يصلح للتدريس..." [٥]، كما اشترط السبكي في المدرس الناجح أن يكون مُلماً بجملة علوم، ومعارف لا سيما تلك التي لها علاقة بتخصصه العلمي الدقيق[٦] ، كما نصح السبكي فقهاء

---

(١) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ١٤/٥٣٠.

(٢) ابن شداد ،الاعلاق الخطيرة، ٣/ق١/ ٢٧٦.

(٣) محمد زغلول سلام، الأدب في العصر الأيوبي،القاهرة ، ١٩٦٨، ص٨٣.

(٤) السبكي، معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق. محمد علي النجار، وابو زيد شلبي، محمد ابو العيون، دار الكتاب العربي، العربي، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٠٥-١٠٨.

(٥) السبكي، المصدر نفسه، ص ١٠٥-١٠٦.

(٦) السبكي، المصدر نفسه، ص ص١٠٧.

المدرسة أو الطلبة بضرورة المواظبة، والحضور وعدم الغياب الا بعذر شرعي، وانتقد بعض سلوكيات الطلبة فقال:" ومن أقبح ما يرتكبونه تحدّث بعضهم مع بعض في أثناء قراءة الجزء من الربعة فلا هم يقرءون القرآن ، ولا هم يسلمون من اللغو في الكلام ... ومنهم من لا يصغى للمادح وربما فتح كتاباً ينظر فيه، ولا ينظر لما يقوله المدرس، بل يجلس بعيداً عنه بحيث لا يسمعه، وهذا لا يستحق شيئاً من المعلوم، ولا يفيده أن يطالع في كتاب، وهو في الدرس فلو اكتفى الواقف منه بذلك لما شرط عليه الحضور " [١].

واعتمد التدريس على التلقين، والإلقاء والإملاء، حيث اعتمد التلقين في المرحلة الأولى، وكان المعلم يلّقن الأطفال قراءة القرآن الكريم. أما في المراحل التالية فقد اعتمد فيها (الإلقاء، والإملاء)، فكان الشيخ يقوم بإلقاء الدرس على الطلبة من محفوظاته، أو مذكراته أو كتابه، ويكون الإلقاء بطيئاً ليتمكن الطلاب من التدوين في مذكراتهم وهذا ما كان يسمى إملاء. وبعد فراغ الشيخ من الإلقاء، غالباً ما كانت تعاد قراءة ما دوّن من قبل المدرس أو المعيد ليصحح ما دوّنه الطلبة، وفي هذه الحالة كان يكلف الشيخ أحد الطلبة بالقراءة أولاً قبل أن يلقيه هو نفسه ثمّ يعيد بعد قراءته على الطلبة، وكان الشيخ يتوقف عن القراءة كلما رأى الحاجة تدعو لذلك، ليشرح ويوضح ما صعب على الطلبة، حيث كان الطلاب يدونّون هذه الشروحات والإيضاحات على أوراق خاصة، أو على عارضات الكتب وهوامشها، كما كان المدرس يقوم بأغلب الأحيان بإلقاء مجموعة من الأسئلة على الطلبة ليدرك استيعابهم وفهمهم للدرس، ثمّ يقوم بالإجابة بنفسه عما يصعب عليهم الإجابة عنه، وهذا ما أشار إليه المحدث ابن الصلاح الشهرزوري(ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) فقال : .." السماع من لفظ الشيخ: وهو ينقسم إلى إملاء وتحديث من غير إملاء وسواء كان من حفظه أو من كتابه.." [٢].

كما عرفت المدارس في اقليم الجزيرة كغيرها من البلاد طريقة المناظرة، التي تعمل على شحذ الذهن، وتقوية الحجة والتمرين على سرعة التعبير، وتعويد المناظرين الثقة بالنفس، والقدرة على الارتجال، ولهذه الأسباب عنى بها المسلمون عناية كبيرة وعدوها من طرق التعليم، وكثيراً ما كانت

---

(١) السبكي، المصدر نفسه، ص١١٠٨-١٠٩.

(٢) ابن الصلاح، علم الحديث، بيروت، د/ت، ص١٣٢،١٣٧؛ابن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، ١٩٧٩، ٢٦/٥.

المناظرات العلمية تعُقد بين العلماء في مواضيع علمية مُتعددة يحضرها كبار الشيوخ، وأعيان الدولة، والطلبة[١].

ولتفعيل طريقة المناظرة في التعليم، فقد اشترط العلماء شروطاً منها أن يكون غرض المتناظرين بحث العلم وإحياء الحق والهدف الثقافي البحت، لا الجدل الخالص، وحب الانتصار على الخصم، وهكذا كان جدل الأئمة الكبار، والفقهاء والعلماء أمثال الشافعي، وإسحاق بن راهوية، وأبي حنيفة، وأن يكون المتناظران عالمين بارعين متسامحين غير حقودين ولا غيورين ولا مرائين[٢].

أما ساعات الدوام اليومي في المدرسة فتبدأ في العادة بعد طلوع الشمس وتستمر حتى الظهر، فقد" أفتى بعض كبار العلماء، أنّ المدرس إذا ذكر الدروس في مدرسة قبل طلوع الشمس، أو أخره إلى ما بعد الظهر لم يستحق معلوم التدريس... لمخالفته العرف المعتاد في ذلك"[٣] وتحدد مواعيد الدروس خلال الدوام اليومي تبعاً لمصلحة الطلبة، وينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره إذا لم يكن عليه(المدرس)فيه ضرر ولا مزيد كلفة"[٤].

أما مدة المحاضرة فيجب أن لا تكون طويلة مملة ولا قصيرة مُخلة كما يقول ابن جماعة " ويراعى في مدة الدرس مصلحة الحاضرين وفائدتهم، فلا يطيله إطالة مملة ولا يقصره تقصيراً مخلاً [٥] وإذا قدّرنا المدة التي حددها للدوام اليومي من طلوع الشمس إلى الظهر، بست ساعات، ووزعناها على برنامج الدروس اليومي الذي ذكره ويتضمن ستة دروس يومياً، فإن مدة الدرس لا تزيد عن ساعة واحدة هذا في العلوم الإنسانية والدينية، أما في العلوم التطبيقية فكانت مدة الدرس الذي يلقيه الطبيب أبو المجد بن أبي الحكم الباهلي (ت: ٥٧٠هـ/١١٧٤م) في البيمارستان النوري ثلاث ساعات[٦] .

واشتمل نظام الدوام المدرسي على عطل أسبوعية وسنوية، فكانت العطلة الأسبوعية يومي الثلاثاء والجمعة، وقد تلغى بقرار من ناظر المدرسة، فقد ألغى ناظر المدرسة الأمينية علاء الدين ابن الزملكاني(ت: ٦٩٠هـ / ١٢٩١م) العطلة الأسبوعية "يومي الثلاثاء والجمعة" في مدرسته " اقتضى رأيه ونظره أن الدرس يذكر كل يوم حتى يوم الجمعة، والثلاثاء... وهذا من العجائب التي

---

(١) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ٤٣١/١-٤٣٣.

(٢) محمد أسعد طلس، التربية والتعليم في الإسلام، بيروت، ١٩٥٧، ص١٥٧.

(٣) ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم، ص٤٤.

(٤) ابن جماعة، المصدر نفسه، ص٤٤.

(٥) ابن جماعة، المصدر نفسه، ص٣٨.

(٦) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ١٣٨/٢.

لم تعهد، ولم يعترض عليه أحد" [١] ومن بين إجراءات هذا الناظر تقصير عطلة العيد فجعلها تنتهي بعد العيد بثلاثة أيام، ويبدو أنها كانت أطول من ذلك لأن النعيمي يجد هذا الإجراء من العجائب التي لم تعهد، أنه " ذكر الدرس بعد العيد بثلاثة أيام"[٢] .

ويذكر أنّ المدرس الناجح هو من وصف بالحلم، والصبر، وبحسن الإلقاء، والشرح الجيد وغير ذلك مما يساعد الطالب على الثقة بنفسه وبمدرسه، ولقد كان أسلوب الشدة والضرب من الأساليب المرفوضة في تلك الحقبة، ويروي لنا ابن العديم (ت:٦٦٠هـ / ١٢٦٢م) في كتابه "بغية الطلب" أنه أمام إحدى مدارس حلب، كان قد وضع في بركة الماء التي تقع في صحن المدرسة سمكاً فغسل فقهاء المدرسة ثيابهم بماء تلك البركة فمات السمك، وانزعج الإمام من عملهم، فأساء معاملتهم وقام بضربهم، فطرد هذا الإمام من المدرسة بسبب تصرفه هذا[٣] .

أما عن عدد ساعات التدريس، التي كان يتلقاها الطلبة كل يوم وعن العلوم التي كانت تدرس، فيقول ابن كثير في وفيات سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م، وفيها مات شيخ الإسلام محي الدين أبو زكريا يحيى الشافعي النووي، وكان يقرأ كل يوم اثني عشر درساً على المشايخ شرحاً وتصحيحاً درسين في الوسيط، ودرساً في المهذب ودرساً في الجمع بين الصحيحين، ودرساً في صحيح مسلم، ودرساً في اللمع لابن جني، درساً في المنطق لابن السكيت، ودرساً في التصريف، ودرساً في أصول الفقه، وتارة في اللمع لأبي اسحق، وتارة في المنتخب لفخري الدين، ودرساً في أصول الدين[٤] .

ومن هذا يتضح لنا أن الطالب كان يتلقى كل يوم دروساً في الفقه والحديث واللغة وآدابها والمنطق وأسماء الرجال. والجدير بالذكر أن هذا المنهاج على ما يبدو وضع للمرحلة التي تعادل (ما يسمى في عصرنا الحاضر بالتعليم العالي)، لأن هذه المصّنفات التي جاء على ذكرها ابن كثير تعد من أمهات الكتب في فنونها.

---

(١) النعيمي، المصدر نفسه،١٩٤/١.

(٢) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس،١٩٤/١.

(٣) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ٣١٢/٥-٣١٣؛ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٧٨/٣-٣٧٩.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ،٢٩٧/٢-٢٩٩؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٤٩٤/٣.

ولما كانت المؤسسات التعليمية من الكتاتيب، والحلقات في المساجد، والمدارس، والخوانق[١] وغيرها بحاجة إلى دخل ثابت للإنفاق كي يضمن للأئمة والطلبة فيها مستوى كريماً من العيش ولكي يتفرغوا إلى البحث والدراسة والعطاء، لجأ أرباب البلاد من زنكيين وأيوبيين إلى تدعيم مدارسهم بالأوقاف الكبيرة التي أوقفوها عليها كالقرى، والمزارع، والطواحين، والحمامات، والدكاكين وغير ذلك، وكانت هذه الأوقاف تعد الأساس في واردات هذه المؤسسات، كما كانت الأموال تدفع من خزانة الدولة على شكل جامكيات رواتب وهبات للمدرسين[٢] .

وهذه المدارس كان يقوم على تشييدها السلاطين والأمراء وأهل العلم، وأهل المال، وكانت المدارس تعتمد أساساً على الوقف الذي يوقف لتلك المدارس، حتى تواكب على استمراريتها في القيام بدورها التعليمي، ويختار لها من الشيوخ، وطلبة العلم المشهود لهم بالكفاءة العالية، وقد لفت كثرة الأوقاف المرصودة على المؤسسات العلمية في المشرق الاسلامي انتباه الرحالة ابن جبير فكان أن دعى أبناء جلدته من المغاربة، والأندلسيين للرحلة الى المشرق للتعّلم فقال مُخاطباً اياهم:" فمن شاء الفلاح من نشأ من مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد فيجد الأمور المعينات كثيرة، وأولها فراغ البال من أمر المعيشة" [٣] ومن الأوقاف المرصودة على المدارس نذكر على سبيل المثال لا الحصر الأوقاف التي رصدها نورالدين محمود لبنائه المساجد، والمدارس، والخانقاهات، والربط، حيث رصد لها الموارد بسخاء[٤] وقد أحصى أبو شامة المقدسي ما أوقفه نورالدين محمود من موارد في سبيل البر ونشر العلم في المنشور الذي أصدره سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م بنحو مائتي الف دينار، وكان قد خُصّص قسماً كبيراً منها للصرف على مدارس المذاهب الأربعة، وعلى أئمتها، ومدرسيها، وفقهائها، وكذلك على تعليم الأيتام، والغرباء، لا سيما المغاربة ممن انقطعت بهم السبل[٥] كما أشاد العماد الأصفهاني بأوقاف نورالدين محمود بالقول: "ولو شغلت بإحصاء وقوفه وصدقاته في كل بلد لطال الكتاب ولم أبلغ الى امد"[٦].

---

(١) **الخوانق:** مُفردها خانقاه، أو خانكاه، وهي كلمة فارسية تعني البيت، وأصبحت تُطلق على المكان الذي يُقيم فيه الصوفية للعبادة. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ٢/ ٤١٤.

(٢) الذهبي، سير اعلام النبلاء،٣/٥٤٤-٥٥٥؛ ١٩٧٩، ٥/٢١٢-٢١٣.

(٣) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٢٠٠.

(٤) البنداري، سنا البرق الشامي، بيروت:١٩٧١،ص ٥٥-٦٠.

(٥) أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين، ج١،ق١/ ١٤٠.

(٦) البنداري، سنا البرق الشامي، ق١/ ١٤٤.

وكان أثر تلك الأوقاف، والإنفاق المادي السخي واضحاً في إنتعاش حركة التعليم، ونشر المذهب السني في مملكته، وبنيت في عهده الكثير من المدارس، امتدحه ابن خلكان بالقول:" ..أنه بنى المدارس في المدن الكبار مثل دمشق، وحلب، وحمص، وبعلبك، ومنبج ،والرحبة ..وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري، ورتّب له ما يكفيه، وبحماة الجامع الذي على نهر العاصي، وجامع الرها، وجامع منبج.." [١] كما كان له دور في التوجه لإعادة مصر الى الصف السني[٢]، وهكذا فقد أصبح نورالدين محمود في سلوكه قدوة لمن عاصره من الملوك، والأمراء، والوزراء فنهجوا نهجه في دعم المذهب السني، وإنشاء المدارس، والإنفاق عليها من ذلك ما قام به أخوه سيف الدين غازي بالموصل(٥٤١-٥٤٤هـ/ ١١٤٦- ١١٤٩م) من إنشاء المدارس، وتشجيع العلم[٣] كذلك ما قام به الأمير أسد الدين شيركوه(ت:٥٦٤هـ/ ١١٦٨م) الذي كان من كبار امرائه ،فقد شارك في بناء مدرسة بدمشق، ووقفها على المذهبين الشافعي ،والحنفي[٤] كما اقتدى به السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي عُرف عنه دعمه الكبير للعلم، والعلماء، فعلى سبيل المثال أثنى الرحالة ابن جبير على جهود صلاح الدين في الاهتمام بالمدارس بالقول:" ..ما من مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان عليه يعمّ جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها، وتهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال.." [٥] .

وتختلف المدة التي كان على الطالب قضاؤها في الدراسة حتى يتخرج، ويحصل على إجازة من المدرسة التي يدرس فيها، باختلاف الأمصار الإسلامية، واختلاف أساليب التعليم فيها كما يفهم من قول ابن خلدون: "..يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة، وهي بتونس خمس سنين، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف عليه،هي أقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية،أو اليأس من تحصيلها.." [٦] ، وربما

---

(١) ابن خلكان، وفيات الاعيان،٢/ ٨٨.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ، جـ ٥/ ٣٨٥.

(٣) ابن الأثير، الباهر، ص٩، سبط بن الجوزي، المنتظم في اخبار الدول، جـ٨،ق١/ ٢٠٤.

(٤) النعيمي، الدارس في اخبار المدارس،١/١٥٢.

(٥) ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص٥٣.

(٦) ابن خلدون،مقدمة ابن خلدون،ص٤٣٢.

احتاجت التخصّصات العلمية كالطب، والهندسة لفترة أطول من العلوم الدينية والاجتماعية، لأنها تحتاج إلى التجربة والخبرة والمراس[١] .

والإجازة هي الشهادة التي يمنحها المدرس أو الشيخ لتلميذه، ويأذن له فيها بتدريس كتابه أو رواية الأحاديث التي أخذها عنه، وعادة ما تكون مكتوبة على الورقة الأخيرة من الكتاب الذي أجيز به الطالب مثل "أتم فلأن قراءة هذا الكتاب علي وأجزت له تدريسه"[٢] وهي ضرورية لمن يريد ممارسة مهنة التدريس، حيث يشترط في العالم أن لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلاً له، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه"[٣] .

وكان موضوع الإجازات العلمية يمثل مظهراً من مظاهر الحياة العلمية، والجدير بالذكر أن الإجازات كانت متشابهة من حيث الشكل والمضمون في جميع أنحاء العالم الإسلامي. وقد جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للقيام بالإفتاء والتدريس أن يأذن له شيخه في أن يفتي ويدرس ويكتب له بذلك[٤] أما الإجازة بعراضة الكتب، فقد جرت العادة أن الطالب إذا حفظ كتاباً في فن من من فنون العلم، كان يعرضه على مشايخ العصر حيث يفتح منه أبواباً يستقرئه إياها،فإن مضى فيها من غير توقف أو تلعثم،استقل يحفظه تلك المواقع على حفظه كل الكتاب[٥] . ومن هذا يتبين أن أركان الإجازة كانت: المجيز – والمستجير – والإجازة نفسها، كان طالب العلم بعد أن يشبع رغباته من أئمة تكبره يرحل عنها في طلب العلم، وبعد أن كانت الرحلة تقتصر على علم الحديث أصبحت الرحلة لطلب علم الحديث وسواه. وهذا ما أشار إليه ابن جبير الأندلسي أثناء رحلته إلى مدن الجزيرة ، فكانت تلك الرحلة وما يتصل بها ممثل الوحدة الثقافية للعالم الإسلامي بأبهى صورها.

ثالثاً– الهيئة التعليمية، والادارية في المدارس الجزرية.

ومن الجدير بالذكر أن مدارس أقليم الجزيرة كغيرها من المدارس آنذاك قد تمتّعت بنظام اداري، وتعليمي دقيق ضمن لها الاستمرار في أداء دورها، ووظيفتها العلمية، حيث كان يوجد في كل

---

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، دمشق، ١٩٤٨، ٦٩/٦.

(٢) عبد الدايم عبد الله،التربية عبر التاريخ،١٩٨٤،ص١٧٤.

(٣) ابن جماعة، تذكر السامع، ص٤٥.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣، ١٣/ ٣٢٧.

(٥) الذهبي،سير اعلام النبلاء، ٢٣٢/٤؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ١٥١/٢-١٥٤.

مدرسة هيئة ادارية منظّمة تتمثل في ناظر الوقف[١]، والقيم[٢]، والمؤذن، والبواب، والخدم، فضلاً عن الهيئة التعليمية التي تتمّثل بـ(المدرسين)،و(المعيدين) [٣] ، والفقهاء (الطلاب)، وكان عدد الطلاب يتباين من مدرسة الى اخرى حسب حجم المدرسة، ووارداها من الوقف.

وقد تنوع العاملون بالتدريس بين الشيخ، والمدرس، والمعيد، ووظيفة المعيد تلي مرتبة المدرس لأن الأصل فيه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف أعاد المعيد على الطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه[٤] وأصبح منصب المعيد له المكانة العالية آنذاك، فقلما خلت مدرسة منه، فقد عيّن صلاح الدين الأيوبي معيدين بالمدرسة الناصرية بالقاهرة إلى جانب الخبوشاني مدرسها وناظر وقفها، وكذلك في المدرسة الصالحية التي أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يشتغل فيها أربعة من المدرسين، وقد عيّن لكل منهم معيدان يساعدانه، ثمّ أصبح ذلك شيئاً مألوفاً في عصر المماليك إذ تشير معظم وثائق الوقف إلى تحديد عدد المعيدين بجانب المدرسين في أية مدرسة تقام[٥] .

وكان تعيين المعيدين عادة يتم من قبل ناظر الوقف فهو الذي كان يقوم بتعيينهم في وظائفهم، ويمكن القول أن نظام المعيدين هو نظام إسلامي أصيل، أخذت به نظم التعليم المعاصرة، وذلك بتعيين كل من تظهر عليه مؤهلات الذكاء والنباهة ، وذلك لتمرينهم على ممارسة مهنة التعليم، وتشجيعهم على الاستمرار في البحث والدراسة والاستزادة من العلوم والخبرة حتى يكونوا كوادر علمية تسهم في جودة العملية التعليمية[٦].

---

(١) **ناظر الوقف:** هذا المنصب يشبه مدير المدرسة حالياً ، ومن اهم مهماته أن يقوم بعمارة المدرسة وشراء لوازمها من الزيت والمصابيح والحصر والبسط، و صرف رواتب المدرسين والفقهاء والقيم والمؤذن وللناظر راتب معلوم من أموال الوقف مقابل تعبه وخدمته واشرافه للأملاك الموقوفة. الحازمي :١٤٢١هـ،١/ ٣٢٩-٣٣٠.

(٢) **القيم:** وهو من يقوم بكنس المدرسة ، ورشها، وفرشها ، وتنظيفها وايقاد المصابيح الحازمي، ١٤٢١هـ ٣٣١/١.

(٣) **المعيدون:** هو من يعيد الدرس على الطلبة بعد انصراف المدرس، فهو اقل رتبة من المدرس. السبكي، طبقات الشافعية، ص ٨٨.

(٤) حسين أمين،تاريخ العراق في عصر السلجوقي، بغداد، ١٩٦٥،ص٢٣٢.

(٥) علي سالم النباهين، نظام التربية في عصر دولة المماليك بمصر، القاهرة، ١٩٨١،ص٣٠٩- ٣١٠.

(٦) النباهين، المرجع نفسه،ص٣١٠.

وكان لقب(الشيخ) من الألقاب التي لقّب بها أهل العلم توقيراً له، وكلما زاد الشيخ علماً ارتفعت مكانته فكان يقال: شيخ المحدثين، وشيخ القراء، وغير ذلك. كما كان يقال: شيخ المدرسة، وشيخ الرباط، وشيخ دار الحديث، وشيخ الشيوخ، وعلى سبيل المثال الحافظ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ولّي مشيخة دار الحديث بدمشق، وإن تنصيب الشيخ لم يكن وقفاً على العلماء من الرجال، ومع ذلك فإن العنصر النسائي كان قليلاً، إذا ما قورن بالعلماء من الذكور، ويعد الشيخ والمدرس من الذين يتبؤون مراكز مرموقة في الدولة[١] .

أما الرواتب التي كان يتقاضاها المدرسون، والعلماء في المدارس فكانت تُصرف لهم شهرياً بما يليق بمنزلتهم، ومكانتهم العلمية[٢] وربما أعرض بعض الشيوخ الميسورين عن تلقي الأجر، اذ كانوا يعتمدون على ما يأتيهم من موارد من أملاكهم، ومزارعهم في الإنفاق على أنفسهم وأسرهم[٣] ،واعتمدت المدارس في دفع نفقات التعليم فيها على ريع الوقف الذي يرُصده الواقف لها والذي قد يكون أرضا زراعية، أو سوقاً تجارياً، أو مباني سكنية، فقد ذكر ابن جبير في أثناء رحلته الى الجزيرة وبلاد الشام سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م:"أن البلدة تكاد الأوقاف تستغرق جميع ما فيها وكل مسجد يستحدث بناؤه أو مدرسة، يعين لها السلطان، أوقافاً تقوم بها وبساكنيها والملتزمين لها، وهذه أيضاً من المفاخر المخلدة، ومن النساء الخواتين ذوات الأقدار من تأمر ببناء مسجد أو رباط أو مدرسة وتنفق فيها الأموال الواسعة، وتعين لها من مال الأوقاف، ومن الأمراء من يفعل ذلك"[٤].

وقدّمت المدرسة الى جانب الرواتب للعاملين فيها والطلاب، خدمات اجتماعية لنزلائها من المدرسين والطلاب والفقراء فعندما أسّس صلاح الدين المدرسة الصلاحية سنة ٥٨٣هـ/١١٨٧م"أجرى على بعض الفقراء والقراء والفقهاء الجامكيات والجرايات"[٥] .

وما دمنا في مجال الحديث عن المدارس من المفيد أن ننوه الى المكتبات الملحقة بها، فقد كان لكل مدرسة مكتبتها الخاصة بها، مثال ذلك: مكتبة المدرسة البدرية في الموصل، وخزانة كتب المدرسة النورية وغيرها من المكتبات المدرسية التي ساهمت في إثراء التعليم وتطوره، وقد ضم

---

(١) الذهبي،سير اعلام النبلاء، ج٤/٢٣٢؛ النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ٢/١٥١-١٥٦.

(٢) النعيمي، المصدر نفسه، ١/٦٠٦.

(٣) السبكي، طبقات الشافعية،٤/ ١٨.

(٤) ابن جبير ،رحلة ابن جبير ،ص٢٤٨.

(٥) النعيمي، الدارس في تاريخ المدارس، ١/٣٣٢.

بعضها الاف المجلدات"[١] ، وكان يقوم على خدمتها عدد من الموظفين كالخازن وهو مسؤول عن تخزين الكتب، والنساخ وكان عملهم نسخ الكتب، والمجلدون الذين كانوا يقومون بتجليد الكتب[٢] .

ونخلص من هذا إلى أن جهود الزنكيين، والأراتقة، والأيوبيين انعكست على الحياة العلمية، والفكرية، فقد عرف عن حكامهم اهتمامهم بالعلم والعلماء، وبناء المراكز العلمية لا سيما المدارس التي زاد عددها في عهدهم زيادة ملحوظة. وقد أعجب ابن جبير الذي زار بلاد الشام، والجزيرة في سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٤م،من نهضتها العلمية، وسُرَه كثرة دور العلم من المساجد والمدارس والربط والخانقاهات فيها، ومما لا شك فيه أن ازدياد عدد المدارس كانت له أسباب قوية في العصر آنذاك ضمن إطار حركة الإحياء السني للوقوف بوجه التيارات الفكرية المعادية .

الخاتمة:

١- كان بروز المدارس في المشرق الاسلامي على يد القوى السنية في القرن الرابع الهجري، ثمّ انتشارها، وشيوعها في القرون اللاحقة يُمثل مرحلة مُتطورة في سلسلة التطورات التي مرّت بها حركة التعليم في المجتمع الإسلامي، وكان ظهورها مُكملاً لوظيفة المسجد، الا أنها اختلفت عن المساجد كون التدريس فيها لم يقتصر فقط على العلوم الدينية، بل تعداه لتدريس مختلف العلوم.

٢- برز في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين عنصرين من عناصر العمارة هما: العمارة الحربية، كالأسوار والقلاع، والحصون، فضلاً عن مظاهر العمارة المدنية، كالمدارس التي حظيت باهتمام حكام الجزيرة من الأتابكة الزنكيين، والأراتقة، والأيوبيين باعتبارها أحد الدعائم الاساسية التي بنوا عليها حكمهم على المستويين السياسي، والديني.

٣- تسابق حكام الجزيرة الفراتية وامرائهم في انشاء المدارس التي زاد عددها بشكل ملحوظ في القرنين السادس، والسابع الهجريين، وكان لها دور فاعل في ازدهار الحركة العلمية، كما أنها كانت تمُثل قلاعاً فكرية لنشر الفكر السني للوقوف بوجه بعض التيارات المتُطرفة المعادية.

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٨٣/١٢؛ عماد الدين خليل، الامارات الارتقية، ص٥٠٧.

(٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٥٣/٣.

٤- كانت غالبية مدارس الجزيرة الفراتية كغيرها من المدارس التي ظهرت في بلاد الشام، ومصر آنذاك احادية المذهب، فقد كان لكل مذهب من المذاهب السنية الأربعة: الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي مدارسه الخاصة.

٥- تمّ اختيار مواقع المدارس، وتخطيطها على نحو يساعد على إنجاح العملية التربوية، واشتملت مبانيها على قاعات للتدريس، ومسجد، ومساكن للمدرسين، والطلبة، ومكتبة، كما واهتم المنشؤون باختيار المواقع المناسبة لمدارسهم فاختاروا الأماكن المشرفة على الأنهار، والمنتزهات، لأن مناظرها الجميلة تبعث في نفس الطالب الرغبة في الدراسة والبحث.

٦- اشتملت المناهج الدراسية في مدارس الجزيرة على علوم الشريعة، واللغة، والحساب، والمنطق ،مع بعض العلوم الاخرى كالطب، والعلوم الرياضية، كما تخصّصت بعضها في تدريس الطب، أو الفلك.

٧- تألّفت الهيئة العاملة في مدارس الجزيرة من الناظر، والمدرسين، والمعيدين ،والقيّم، والنواب، والإمام، والمؤذن، وروعي في اختيارهم جميعاً التقوى والصلاح والكفاءة، وصرف للعاملين والطلاب أرزاق نقدية شهرية، وطعام يومي، وعمل بعض ناظري المدارس ومدرسيها، في أكثر من وظيفة إلا إذا اشترط الواقف خلاف ذلك.

٨- أسهمت المدارس في تخريج طبقة من الإداريين السنة الذين شغلوا المناصب المهمة في الدولة مثل القضاء، وساعدت على ظهور العديد من الأدباء والكتاب الذين أثروا الحضارة الاسلامية بمؤلفاتهم في مُختلف حقول المعرفة ، كما لعبت بعض المدارس دوراً اجتماعيا مُهماً، حيث كان يتوفر فيها السكن للفقراء والمحتاجين، فضلاً عن المساعدات المالية، والعينية التي كانت تقدمها لهم.

٩- كانت مدارس الجزيرة الفراتية تعتمد أساساً على الوقف الذي ساهم في استمرارها في القيام بدورها التعليمي، وأداء رسالتها عل خير وجه ،وقد لفتت كثرة الأوقاف، والموارد المرصودة على تلك المدارس انتباه الرحالة ابن جبير، وكان يصرف منها على أئمتها، ومدرسيها، وفقهاءها، وكذلك على تعليم الأيتام، والغرباء، لا سيما المغاربة ممن انقطعت بهم السبل.

المدارس في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس، والسابع الهجريين

م. كازين أنور صديق

أ.د. شوكت عارف محمد

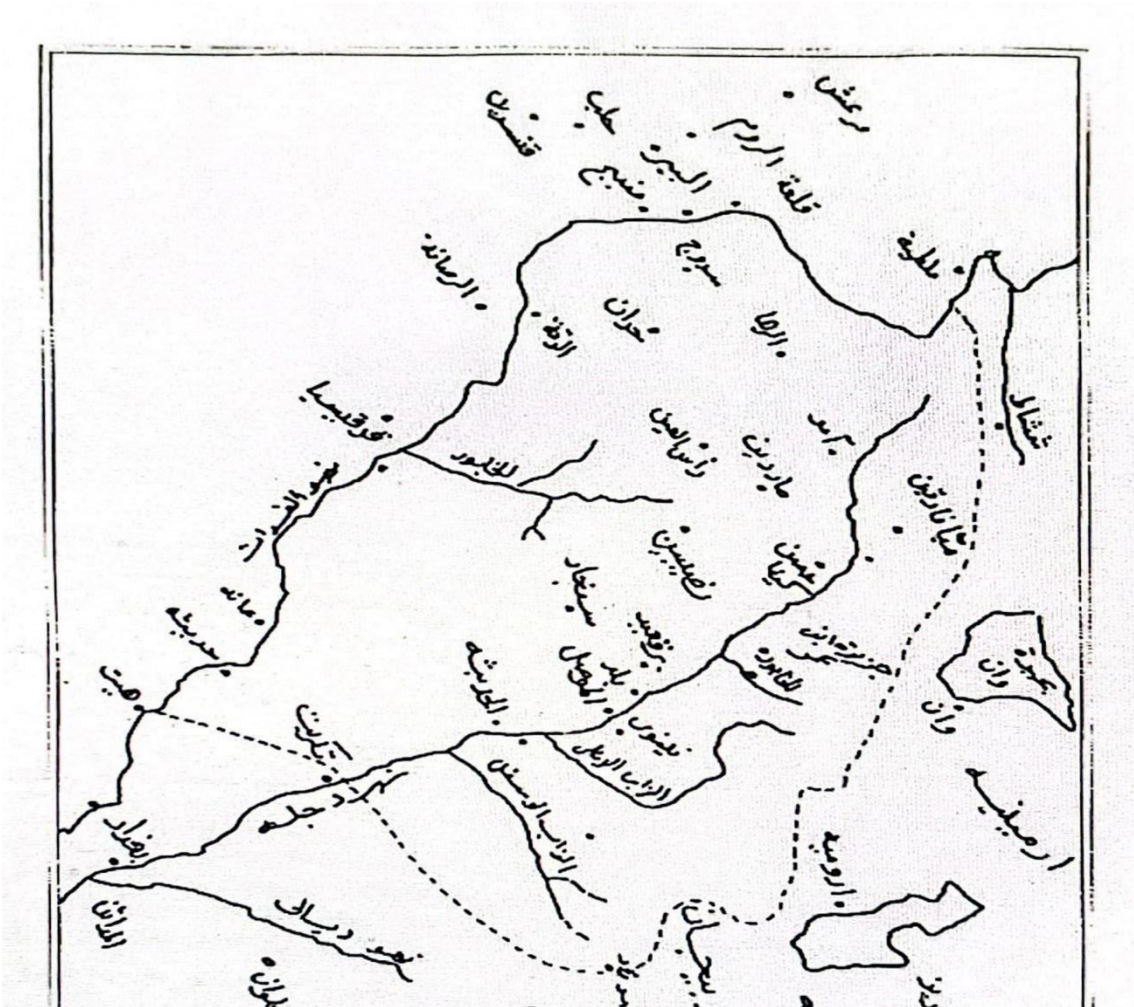

نقلا عن الحارثي في كتاب الاوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية

مصادر ومراجع :

أولاً- المصادر الأولية:

-ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد(ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)

١-**التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل**، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٣.

٢- **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٩٧م.

-الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي(ت٣٤١هـ/٩٥٢م)

٣-**المسالك والممالك**، تحقيق: م. ج. دي غويه، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧.

-ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم(ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)

٤-**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت: د.ت.

-ابن بطوطة، محمد بن ابراهيم اللواتي(ت: ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)

٥-**رحلة ابن بطوطة المسماة(تحفة النظار في غرائب الامصار)**، بيروت:١٩٦٤م.

-البنداري، قوام الدين الفتح بن علي الاصفهاني(ت٦٤٣هـ/١٣٤٥م).

٦-**سنا البرق الشامي (وهو مختصر البرق الشامي للعماد الاصفهاني)**، تحقيق: رمضان ششن، دار الكتاب الجديد، بيروت:١٩٧١م.

-ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف(ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م)

٧-**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والترجمة، مطابع كوستاتسوماس وشركاؤه، القاهرة، د.ت.

-ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)

٨-**رحلة ابن جبير**، قدم له ووضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٥٩، ٢٠٠٣.

-ابن جماعة، بدر الدين بن إبراهيم(ت٧٩٠هـ/١٣٨٨م)

٩-**تذكرة السامع والمتكلم في القرآن الكريم أدب العالم والمتعلم**، دار الكتب العلمية، د.ت.

-ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحيم بن علي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)

١٠-**المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**،تحقيق: محمد القادرعطا وصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت:١٩٩٢م.

-الحنبلي، أحمد بن إبراهيم (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م):

١١-**درر الحبب في تاريخ أعيان حلب**، تحقيق: محمود أحمد الفاخوري ويحيى زكريا عباره، دمشق: ١٩٧٢.

-ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي (٣٦٧هـ/٩٧٧م)

١٢-**صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩.

-ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م)

١٣-**مقدمة ابن خلدون**، مكتبة المثنى، بغداد د.ت.

-ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)

١٤-**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

-الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)

١٥-**العبر في خبر من غبر**، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١٦-**سير أعلام النبلاء**، ج٢٠، تحقيق: شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج٢١، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ج٢٢، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ج٢٣، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، ط٣، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٦. ١٩٨٢,

-ابن الساعي، أبو طالب علي بن انجب تاج الدين (ت ٦٧٤هـ/١٢٧٥م)
١٧-**الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير**، تحقيق: مصطفى جواد، المطبعة الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤.
-سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي(ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)
١٨-**مرآة الزمان في تاريخ الاعيان**، تحقيق دار إحسان عباس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٥.
-السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي(ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)
١٩-**مُعيد النعم ومبيد النقم**، تحقيق. محمد علي النجار، وابو زيد شلبي، محمد ابو العيون، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٤٨.
٢٠-**طبقات الشافعية الكبرى**، تحقيق: محمود محد الطناجي وغيره، ط٢ ،دار هجر للطابعة والنشر، الجيزة،١٩٤٨.
-أبو شامة، محمد عبد الرحمن اسماعيل (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م)
٢١- **الذيل على الروضتين او تراجم رجال القرنين السادس والسابع**، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٤.
٢٢-**الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية**،(الجزء الأول والثاني) دار الجيل، بيروت، د.ت.
-ابن شداد، عز الدين أبي عبد الله محمد بن علي(ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م)
٢٣-**الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، تحقيق: يحيى عبارة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٧٨.
-ابن شداد، يوسف بن رافع بن تميم (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م)
٢٤-**النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية او سيرة صلاح الدين**، تحقيق: جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤.
-الشهرزوري، ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمن(ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م):
٢٥-**علم الحديث**،تحقيق وشرح نور الدين عنتر، دار الفكر، بيروت،د.ت.
-الصفدي، صلاح الدين بن أيبك بن عبد الله (ت، ٧٦٤هـ /١٣٦٢م)
٢٦-**الوافي بالوفيات** ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت، ٢٠٠٠م.
-ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)
٢٧-**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الافاق الجديدة، بيروت، د.ت.

-الفارقي ،أحمد بن يوسف بن علي ابن الأزرق(ت:بعد ٥٧٦هـ/ ١١٨١م)
٢٨-**تاريخ ميافارقين**، تحقيق. بدوي عبداللطيف عوض، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، ١٩٥٩.
-أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل(ت ٧٣٢هـ/١٢٣١م)
٢٩- **تقويم البلدان**، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.
-ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر أحمد بن إبراهيم(ت٣٦٥هـ/٩٧٨م)
٣٠-**مختصر كتاب البلدان**، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٥.
-الفيروزابادي، مجدالدين محمد بن يعقوب(ت:٨١٧هـ/١٤١٥م)
٣١-**القاموس المحيط** ، مؤسسة الحلبي للتوزيع والنشر، القاهرة، د.ت.
-ابن قاضي شهبة، إسماعيل بن محمد بن عمر الدمشقي(ت، ٨٥١هـ / ١٤٤٧م)
٣٢-**طبقات الشافعية**. تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.
-القرشي، محي الدين أبي محمد عبد القادر(ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م)
٣٣-**الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية**، مير محمد كتب خانه، كراتشي، د.ت.
-القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي(ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
٣٤-**صبح الأعشى في كتابة الإنشاء**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المطبعة الأميرية،القاهرة، ١٩٦٣.
-ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)
٣٥-**البداية والنهاية**، (د/ت).
-ابن اللمش، ابو حفص عمر بن الخضر(ت: ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)
٣٦-**تاريخ دنيسر**، تحقيق:ابراهيم صالح،دمشق، ١٩٩٢م.
-الماردیني، عبد السلام(ت: ١٨٤٣م)
٣٧-**تاريخ ماردين من كتاب(أم العبر)**،تحقيق حمدي عبدالمجيدالسلفي، وتحسين ابراهيم الدوسكي، دهوك، ٢٠٠٢.
-ابن المستوفي، شرف الدين أبو البركات المبارك(ت:٦٣٧هـ/١٢٣٩م)
٣٨-**تاريخ اربل(نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل)**، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١١.
-المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر(ت٣٨٢هـ/٩٩١م)

٣٩-**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٦.

-المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي(٨٤٥هـ/١٤٤١م)

٤٠- **المواعظ والاثار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية**، بغداد، د.ت، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،د.ت.

-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري(٧١١هـ/١٣١١م).

٤١-**لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

-النعيمي،عبد القادر بن محمد(ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م)

٤٢-**الدارس في تاريخ المدارس**، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨.

-ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)

٤٣-**معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي،، بيروت، د.ت.

ثانياً – المراجع الثانوية:

-الألوسي، السيد محمود شكري:

١- **تاريخ مساجد بغداد وآثارها**، بغداد: مطبعة دار السلام،١٤٤٦هـ.

-الجميلي، رشيد:

٢- **دولة الاتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ٥٤١-٦٣١**، ط٢، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٧٥.

- جودة، صادق احمد داود :

٣-**مجاهدين قايماز نائب اربل والموصل ٥٥٩-٥٩٥هـ/ ١١٦٤-١١٩٩م**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

-حسين أمين:

- الحارثي، عبدالله بن ناصر بن سليمان:

٤- **الأوضاع الحضارية في اقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة الثاني عشر والثالث عشر للميلاد**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٧.

٥-**تاريخ العراق في عصر السلجوقي**، بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥.

-خليل، عماد الدين:

٦- **الإمارات الارتقية في الجزيرة والشام ٤٦٥-٨١٢هـ/١٠٧٢-١٤٠٩م**، أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين والتتر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.

٧-**عماد الدين زنكي**، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ١٩٨٥.

-الدليمي، محمود عبيد جميل:

٨-**الحياة العلمية والفكرية في مدينة حران خلال العصر العباسي**،جامعة آل البيت، عمان، ٢٠١٧م .

-عبد الدايم عبد الله:

٩-**التربية عبر التاريخ**، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤.

-رشيد، ناظم:

١٠- **التعليم في ظل الدولتين الزنكية والأيوبية في بلاد الشام**، مجلة آداب الرافدين، ع١٠، ١١ ، الموصل، ١٩٧٩.

- الرويشدي، سوادي عبد محمد:

١١-**الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩.

١٢-**سترك: مادة حصن كيفا**، مج٧، دائرة معارف الإسلاميه إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد وأحمد الشنتاوي وعبد الحميد يونس، مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٦٩.

-سلام ، محمد زغلول:

١٣- **الأدب في العصر الأيوبي**، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٦٨.

- الصلابي، علي محمد:

١٤- **نوح والطوفان العظيم، ميلاد الحضارة الانسانية الثانية**، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٢٠.

-طلس، محمد أسعد :

١٥-**التربية والتعليم في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٧.

-عاشور، سعيد عبدالفتاح :

١٦-**مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك**، دار النهضة المصرية، بيروت، ١٩٥٩.

-علي، محمد كرد:

١٧-**خطط الشام**، مكتبة النوري،ط٣، دمشق،١٩٨٣. ط٢، بيروت، ١٩٧٢.

-القحطاني، عبدالله بن علي بن سلمان:

١٨-**الحياة العلمية في الرقة خلال العصر العباسي**، اطروحة دكتوراه،كلية الشريعة، جامعة ام القرى، ٢٠١٢.

-قدواي، علاء محمود :

١٩-**الموصل والجزيرة الفراتية في عهد دولة المغول الإيلخانية**، دار غيداء، عمان، ٢٠١٥.

-**كحالة**، عمر رضا:

٢٠-**أعلام النساء في عالمي العرب** والإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.

-الكيلاني، ماجد عرسان:

٢١-**هكذا ظهر صلاح الدين وهكذا عادت القدس**، ط٢، دار القلم، دبي،٢٠٠٢.

-محمد منير سعد الدين:

٢٢-**المدارس الاسلامية في العصور الوسطى**، المكتبة العصرية، بيروت ،١٩٩٥.

-المشهداني، محمد جاسم:

٢٣-**الجزيرة الفراتية والموصل دراسة في التاريخ السياسي والإداري**، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.

-مصطفى شاكر:

٢٤-**المدن في الإسلام** ، دار السلاسل، الكويت، ١٩٨٨.

-المغربي، عبدالقادر مصطفى:

٢٥-**الاشتقاق والتعريب**، ط٢، مطبعة لجنة التاليف والترجمة، القاهرة، ١٣٦٦هـ.

-النباهين، علي سالم:

٢٦-**نظام التربية في عصر دولة المماليك بمصر**، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨١.

-نورين، برمة عبد الكريم :

٢٦-**الحياة العلمية في العهد الزنكي**، بحث منشور جامعة الخرطوم، كلية الآداب، الخرطوم، د.ت.